الشارع المؤدي الى مرقد الامام الحسين (ع)
في صورة من عام ١٩٣٢

صور نادرة عن مواكب عاشوراء

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

العدد (2316) السنة التاسعة
الإثنين (28) تشرين الثاني 2011

4

الحلة..
بابل الجديدة

ساعتان مع الدكتور عبد العزيز الدوري

كيف يكتب تاريخ بغداد مجدداً؟

زهير احمد
صحفي وكاتب

الدكتور عبد العزيز الدوري وهو يلبس سترته

كانت جلسة هادئة تلك التي كانت الى الدكتور عبد العزيز الدوري ذلك ان هذا الرجل الوديع الى حد البساطة الهاديء منتهى الهدوء ولكن المتزن الى الحد الاقصى والعميق الغور كل العمق.

لم يكن من اولئك الذين يطيلون الحديث فهو لا يفتأ يزن كلماته ويرسلها هادئة لينة ولكنها محملة الى اقصاها بالمعاني.

وفي غرفة العمادة في كلية الاداب والعلوم كانت هذه الجلسة غير انها لم تكن لتتصل بسبب بشؤون الكلية والطلاب وانما كانت جلسة "تاريخية" ان صح القول تحدثت فيها والدكتور مؤلف تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري عن شؤون التاريخ.

وسألته اول ما سألته عن موضوع كنت اريد ان اجد له جوابا منذ امد.

– ما الجدوى ياترى من دراسة التاريخ؟

فرد الدكتور قائلا وهو يدعو الفراش الى احضار بعض المرطبات:

× ليس بامكان امة ان تكون لها كيانا دون ان تحترم تراثها ودراسة التاريخ، تشكل هنا ربطا لتراث الامة التاريخي بحاضرها، شريطة ان يدرس التاريخ دراسة جدية لا يغلب عليها التهويل والمبالغة والتاريخ يزودنا بقوة نفسية ان كان مشرفا ويشعرنا بكياننا وهكذا فان عبد العزيز الدوري المؤلف والعميد والحائز على دكتوراه من جامعة لندن عام ١٩٤٢ يفهم التاريخ فهما موضوعيا بحيث يجعله ركيزة لبناء حضاري جديد لا بحثا مجردا ميتا لايعني به الا من ناحيته الجامدة حسب.

ووجهت اليه سؤالي التالي فيما كان المصور يهم بالتقاط صورة له يتمهل الدكتور فيها كيما يرتدي سترته ضاحكا وهو يقول:

× لم اعتد ان تلتقط لي صورة دون سترة. وسكت هنيهة، فسألته:

– ما رأيك فيما كتبه المستشرقون من تاريخنا العربي؟

× المفروض ان تاريخ كل امة يكتبه ابناؤها ويجب الا ننتظر من سوانا ان يكتبوا عن تاريخنا، فلاجنبي اذ يكتب عن تاريخ امة من الامم يكتب بروح المتفرج لا المؤمن ولبعض المستشرقين اغراض ودوافع تجعلهم يهتمون بالدراسات المشرقية عبر البحث العلمي.

ومع هذا فثمة من تدل بحوثهم على نزاهة مثل "شاخت" استاذ اللغة العربية بجامعة لندن والبروفسون جب

– وماسينيون؟

× ماسينون ركز على ناحية التصوف وكتاباته عن الحلاج ومحنته ممتازة اما اراؤه عن القضايا العربية فمختلفة غير ان موقفه الاخير من المغرب العربي وقضاياه كان نبيلا حقا.

ومن اشارة الدكتور الى القضايا العربية تذكرت انه الف عام ١٩٤٧م كتابا اسماه (في الوعي العربي) ومن هذا الكتاب سألته:

– لماذا اصدرت هذا الكتاب؟

× كانت الفترة التي طبعت فيها محاضراتي في الوعي العربي فترة ازمة فكرية اجتازتها العقلية العربية، وقد نشرتها مستهدفا تحديد اتجاه فكري معين.

فقلت له:

– الا تجد ان هناك ضرورة في الوقت الحاضر لمثل هذا الكتاب؟

× نعم.. فهذه المرحلة لا تقل عن تلك وفي نيتي كتابة شيء في هذا المجال

وسألته بهذه المناسبة ايضا – عن رأيه في كتب ساطع الحصري عن القضايا العربية فقال:

× كتابات ساطع الحصري ممتازة حقا وهو واحد من الذين تركت كتاباتهم اثارها في وان كانت هذه الكتابات تخص فترة بعينها..

وسألته مؤلف (النظم الاسلامية) و(دراسات في العصور المتاخرة) و(العصر العباسي الاول) و(مقدمة في تاريخ صدر الاسلام) عن مشاريعه القادمة في التأليف ، فبدأ على الدكتور انه ليستريح الى التصريح بشيء عنها ولكنه قال:

× ان الاعلان عن مشاريع قادمة ليس من عادتي غير ان نيتي اصدار بحث في علم التاريخ عند العرب خصوصا القرون الثلاثة الاولى للهجرة وقد اشتغلت به منذ امد.

قائلا:

× اعتقد ان لسترنج هو احسن من كتب عن بغداد من حيث تأكيده على طبوغرافية المدينة غير ان المدن لا تفهم على اساس طبوغرافي حسب وانما تدرس على اساس تاريخي تلاحظ فيه المدينة كوحدة عضوية.

وهنا قلت له:

– الا تعتقد ان المشكلة التي تعترض الباحث في تاريخ مدينة كبغداد ليست ندرة المصادر وانما كثرتها وتعددها؟

رد الدكتور وهو ينكث غليونه الذي لم اره ينفث دخانا منه:

× ان المصادر كثيرة لفترات اخرى وعلى كثرة المصادر نجد ان المعلومات الواردة ناقصة.

– فمن تعتقد انه خير من كتب عن بغداد؟

× اعتقد ان كتاب ريشارد كوك عن مدينة السلام هو خير ما كتب في هذا المجال.

ولمس الدكتور اهتمامي بتاريخ هذه المدينة فنهض قائما واخذ من زاوية جوار مكتبه خريطة نشرها عليه وراح يشير فيما يتعلق مثلا بمجرى نهر عيسى الى ما يعانيه الباحث من عقبات في تحديد مواقع الاماكن القديمة فتبين لي انه اهتدى الى مسائل جديدة في طبوغرافية المدينة فيما يتعلق مثلا بمجرى نهر عيسى المندثر في الكرخ الذي استعان الدكتور لتحديد مجراه الحقيقي بآلة جديدة تستعملها مديرية المساحة منفقا وقتا طويلا وجهدا في تعقب هذا المجرى كيما يضمن لبحثه الدقة.

وتردد اسم الدكتور مصطفى جواد في حديثنا فقال الدكتور عبد العزيز عنه.

× انه ذو فضل كبير في تحديد مواقع الاماكن القديمة وجرنا الحديث الى المجمع العلمي العراقي فسألت الدكتور عن رأيه فيه فبدأ عليه عدم الرغبة في بحث هذا الموضوع واكتفى بان قال:

× ان المجمع ذو خدمة طيبة خاصة فيما يتعلق بمجلته ومنشوراته التي تدل على نشاط جم.

وفرغنا من مراجعة خريطة بغداد وعدت اقتعد كرسيي واسأله.

– ما هو اخر كتاب طالعته؟

فكر الدكتور قليلا وقال:

× ان ما اطالعه الان لايخرج عن موضوع البحث الذي اشتغل فيه عن بغداد غير انني اذكر لك اسم كتاب (كريسوولد) عن الفن المعماري في صدر الاسلام.

– فما هو الكتاب الذي تقيم له وزنا خاصا في نفسك؟

× لقد اثر في كتاب (ريكمانز) عن نظام الحكم في اليمن قبل الاسلام وكذلك كتاب الدولة العربية وسقوطها الذي قرأته ايام التلمذة اما بالنسبة للكتب العربية فكتاب مسكويه عن تجارب الامم وكتاب ابن الفوطي (الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة)

وانتقلنا الى حديث آخر فسألته عن الندوات والمؤتمرات العلمية التي حضرها مؤخرا فقال:

× في الايام الاخيرة كنت اتجنب الحضور الى المؤتمرات ولكنني حضرت مؤخرا مؤتمر الكتابة التاريخية عند شعوب شرقي اسيا وجنوبها الذي عقد في جامعة لندن.

وسألته عن دوره في الندوة الاسلامية التي عقدت في لاهور فقال عنها:

× لقد تكلمت في هذه الندوة عن مفهوم الثقافة الاسلامية وكان القصد من كلمتي ان ابين الاشياء التي تكون جوهر الثقافة التي ورثناها واثرها في حضارتنا الحالية.. ومسألة الاحتكاك بين القيم الحضارية العربية – الاسلامية والتأثيرات العربية وهو موضوع كان موضع مناقشة ايضا في مؤتمر طهران المنعقد عام ١٩٥٧.

– ما مدلول هذا الاحتكاك بين القيم الحضارية للشرق والغرب؟

(واقصد بالشرق اسيا وشمال افريقيا لا المفهوم السياسي الحالي لهذه الكلمة)

× ان ازمة القرب – ازمته الفكرية – قد اثرت علينا وزادت من تعقيد مشاكلنا الحضارية فالحضارة الغربية يتعقدها التكتيكي والصناعي قد ساهمت مساهمة كبرى في التأثير علينا وعلى ثقافتنا وازمة كهذه تحدث عند اصطدام المقاييس ما بين حضارة ما وحضارة اخرى والازمة تحدث بالنسبة لامة تريد المحافظة على شخصيتها وحضارتها من التاثير.

ولا استطيع ان اتحدث عن ازمة حضارتنا بشتى المقاييس التي اتحدث بها عن الضارة الغربية.

وقطع حديثنا طالب استاذن الدكتور في الدخول عليه، للاهتداء برأيه في موضوع تاريخي يشتغل به في عطلته وقد طلب اليه الدكتور اعداد مخطط او فهرست يتحدثان فيه كيما ينبهه في الكتب التي ينبغي ان يستعين بها في موضوعه.

وكان اخر ما وجهته اليه من اسئلة هو سؤال عن رأيه بالحياة الطلابية ومدى اهتمام الطلاب بشؤون التاريخ فقال:

× ان امكانياتنا محدودة سواء ما يتعلق بالفعاليات الاجتماعية او الرياضية اما طلبتنا فلهم استعداد للفعاليات اللاصفية ولهم استعداد ايضا للبحث اذا ما احسن توجيههم. اما موضوع التاريخ فيتعلق بطبيعة تدريسه وقد برز فيه بعض الطلاب من المتخرجين وممن ارسلوا للخارج ببعثات علمية. وهكذا انتهى حديثي مع الدكتور الدوري فنهضت مفارقا اشد على يد الدكتور شاكرا ويودعني هو بمثل ما استقبلني من بساطة وطيبة وترحاب.

عن مجلة الاسبوع
28 حزيران 1958

الدكتور عبد العزيز منغمرا في الحديث

من تاريخ الأحزاب السياسية في العراق

البصرة تشهد افتتاح شعبة حزب الحر المعتدل لتدشن بداية الحياة الحزبية في العراق

رجب بركات
صحفي راحل

اقدم صورة نادرة لشعبة حزب الحر المعتدل يظهر في وسطها طالب باشا النقيب

كتب شيخ المؤرخين العراقيين عبد الرزاق الحسني الشيء الكثير عن تاريخ العراق الحديث وبصورة خاصة ما يتعلق بـ (تاريخ الاحزاب السياسية العراقية) وما سجلته من ملاحظات لاتنقص من قيمة ذلك الكتاب كمصدر معتمد وربما تكون هذه الملاحظات اشارة ضوء للذي يريد التعرف على ما خفي وكان (اعظم).

ففي الصحفة ٧ وتحت عنوان (٢– الاحزاب في العهد العثماني) ورد ذكر (تاليف حزب الحرية والائتلاف في ٥ تشرين الثاني عام ١٩١١ ليخفف من غلواء جمعية الاتحاد والترقي وليدعو بالتالي الى الحكم اللامركزي في الولايات العثمانية والقيام بالاصلاحات الضرورية. وقد تكون لهذا الحزب ايضا فروع في الموصل وبغداد والبصرة، ثم اشار الحسني الى الجمعية الاصلاحية في البصرة فقال انها فرع من حزب اللامركزية العثماني وقد تم تأسيسها على غرار جمعية بيروت الاصلاحية في كانون الثاني من عام ١٩١٣ وهي الجمعية التي اخذت تدعو انذاك الى ان تتولى كل ولاية ادارة امورها ضمن الحكم العثماني وقد تأسس لها فرعان في العراق احدهما في بغداد وقد اطلق عليه اسم النادي الوطني العلمي والاخر في البصرة وقد سمي جمعية البصرة الاصلاحية.

ان جميع المصادر لا تنفي وجود حزب باسم (حزب الحرية والائتلاف) وكذلك جمعية البصرة الاصلاحية والنادي الوطني العلمي في بغداد .الا ان الخلاف او الخلط بين الاثنين يتمثل بعدم الاشارة الى اول الاحزاب التي تشكلت في الولايات العراقية واية ولاية حظيت بالتاسيس قبل غيرها وما علاقة حزب الحرية والائتلاف بالحزب الذي نحن بصدده؟ ولتوضيح بعض النقاط عن تاريخ الاحزاب السياسية العراقية نورد ما يلي:

ان اول حزب تم تاليفه في العراق ابان العهد العثماني هو (حزب الحرية المعتدل) الذي تأسس في الاستانة قبل عام ١٣٢٨ هجرية (يلاحظ عدد ٣٣ من جريدة التهذيب البصرية الصادرة في ١٧ محرم الحرام ١٣٢٨ هـ وما كتبه مبعوث البصرة احمد باشا الزهير عن تأسيس حزب الحر المعتدل واول شعبة تشكلت في الولايات العراقية هي شعبة الحزب في ولاية البصرة.

افتتح (نادي شعبة حزب الحر المعتدل) في ولاية البصرة في ليلة ١٥ رمضان سنة ١٣٢٩ هـ (ناحظ جريدة الرشاد البصرية بعددها ٢٦ في ٢٩ رمضان سنة ١٣٢٩) وقد وصفت الجريدة حفل الافتتاح وما القي من كلمات منها كلمة رئيس الحزب الاول السيد طالب باشا النقيب. كما ونشرت في نفس العدد المشار اليه برقيات تهنئة معنونة الى السيد طالب بك افندي النقيب من شكري العسلي والزهراوي باعتبار الاخير رئيسا للحزب.

ان فكرة تاسيس هذا الحزب في ولاية البصرة طرحها السيد طالب النقيب في الاستانة كما اشارت الى ذلك جريدة (الرشاد) بعددها ١٨ في ٢٧ جمادي الاول ١٣٤٩ هـ في عددها ٣١ في ١١ رجب ١٩٢٩ وقد وضفت استقبال مبعوث البصرة السيد كطالب بك النقيب في بيروت وبعد المداولات والاقناع من طالب تم الاتفاق بالاجماع على ان يكون المبعوثون حزبا واحدا لمصلحة العرب التي اصبحت متأخرة مجهولة ولم يشذ عن الاجماع الا واحد او اثنان من المبعوثين. وكان النقيب العرب الذين ينتسبون الى احزاب مختلفة منهم ينتسب الى حزب الحر المعتدل ومنهم الى حزب الاهالي وكان اجتماعهم في دار طالب بك النقيب في بيروت وبعد

طالب النقيب

احمد باشا الزهير

قد خطب بالمجتمعين وكان محلا لاقناعهم وقبل مغادرة بيروت اجتمع بهم واشار الى ان تاليف هذا الحزب ليس معناه ترك احزابهم القديمة).

لقد تم تأليف (حزب الحر المعتدل) في البصرة بعد ان اوحى رئيس الحزب العام اسماعيل حقي باشا للمبعوثين المنتسبين الى حزب الحر المعتدل تأليف (ناد لشعبة الحزب في ولاياتهم) وقد اراد السيد طالب بك النقيب عن تأسيس هذا الحزب جمع العرب وتكتيلهم ضد الاتحادين حتى لايشار اليهم بدعوة الانفصال عند تأليف الحزب باسم الحزب العربي. لان حزب الحر المعتدل يمثل امال العرب.

وكان اول المندوبين العرب الذي سعى الى تأليف الحزب في اول ولاية عربية تم افتتاحه فيها وقد نشرت جريدة (الرشاد) بعددها (٢٥) الصادر في ١٥ رمضان سنة ١٣٢٩ بيانا من رئيس حزب الحر المعتدل السيد طالب بك بهذا المعنى وكذلك في عددها ٢٨ الصادر في ١١ ذي العقدة سنة ١٣٢٩ نشرت مقالا بقلم عبد العزيز الطبطبائي تضمن شرح المنهاج والمادة السادسة من النظام (نظام الحزب المعتدل) وتم افتتاح شعبة الحزب في ٦ آب ١٩١١ باحتفال مهيب وكان ذلك التاريخ يوافق ١٥ رمضان ١٣٢٩ هـ ليلة مشهودة في ولاية البصرة.

ان حزب الحرية والائتلاف هو حصيلة اندماج الحزب المعتدل مع جميع احزاب المعارضة ولم تكن هناك فروع لحزب الحر المعتدل في الولايات العراقية غير فرع البصرة الا ان ثمة محاولات جرت (يلاحظ غمرة النضال لسليمان فيضي) لتشكيله في بغداد والموصل كامتداد لتأسيس شعبة الحزب في ولاية البصرة وكان طالب النقيب قد كتب الى كل من السادة يوسف السويدي وعيسى جميل ومحمود نديم الطبقجلي في بغداد والى محمد علي فاضل وداود اليوسف في الموصل وغيرهم لتشكيل فروع على غرار البصرة.

اما الجمعية الاصلاحية فدق تم تاسيسها بعد ان حلت جميع الاحزاب بمًا فيها حزب الحرية والائتلاف وجمعية الاتحاد والترقي. وكان قرار الحل قد اتخذ بمؤتمر كرس لنبذ الحزبية والزام المنتسبين للاحزاب بالتخلي عنها اي حل حزب الحرية والائتلاف نفسه كما الزم اعضاء حزب الاتحاد والترقي والانسحاب منه. وان الجمعية يمكن ان تكون فرعا من حزب اللامركزية العثماني وقد اشارت الصحف البصرية الى تأسيس الجمعية ومنهاجها ووثيقة الانسحاب وحل الاحزاب.

جريدة الاتحاد 12/ 6/ 1985

استطلاع عن الحلة في الخمسينيات...

الحلة.. بابل الجديدة

وصف الحلة الرحالة الشهير ابن جبير الاندلسي في عام (580 هـ - 1184م) قائلا "هي مدينة كبيرة عتيقة الوضع مستطيلة لم يبق من سورها الا حلق من جدار ترابي مستدير وهي على شط الفرات يتصل بها من جانبها الشرقي ويمتد بطولها، ولهذه المدينة اسواق حفيلة جامعة للمرافق المدنية والصناعات الضرورية وهي قوية العمارة كثيرة الخلق متصلة حدائق النخيل داخلا وخارجا، فديارها بين حدائق النخيل، والفينا بها جسراً عظيما معقودا على مراكب كبار متصلة من الشط تحف بها من جانبها سلاسل من حديد كالاذرع المفتولة عظما وضخامة، ترتبط الى خشب مثبتة في كلا الشطين تدل على عظم الاستطالة والقدرة".

هذه هي مدينة الحلة كما وصفها الرحالة العرب، والكثيرون من الاجانب يعرفون مدينة الحلة لقربها من اطلال بابل، المدينة التاريخية التي وجدت منذ نحو سنة (٣٣٥٠ ق.م.) وتبعد عن مدينة الحلة اليوم حوالي ١٢ كيلومتراً الى شمالها وهي محجة لعدد كبير من الزوار الاجانب لما فيها من آثار غنية.

والحلة من المدن العراقية الجميلة، يسحر الناظر جمالها وتنعشه طلاقة هوائها واريج نسيمها، تكثر فيها الحدائق وتحيط بها البساتين من كل صوب وجانب، يشعر زائرها بالراحة النفسية ويحس بالهدوء والجمال عند وصوله اليها، اذ لا يرى غير اشجار النخيل والازهار المنتشرة على جانبي الطريق المعبد النظيف من قرب محطة القطار حتى الجسر.

وخلال السنوات القلائل الماضية تقدمت مدينة الحلة في المجال العمراني والاجتماعي والصحي تقدما ملموسا محسوساً.. تقدما يدفعنا الى ان نهنئ القائمين على ادارة شؤونها تهنئة صادقة.

وقبل ان نسمع حديث المسؤولين عن التقدم الذي اصاب اللواء، قمنا بجولة في انحاء المدينة واطرافها فشاهدنا احياء جديدة قد انشأت وعبدت طرقاتها الرئيسية التي تسير فوقها باصات مصلحة نقل الركاب التي تربط اطراف المدينة بشبكة نقل منظمة، والعناية الصحية ظاهرة جلية للعيان، ومن حدائقها العامة: "جنائن بابل المعلقة" وانها لفكرة صائبة تلك التي حققت انشاء هذه الحديقة، فاكثر زوار بابل من الاجانب الذين يزورون الحلة بعد مشاهدتهم اطلال بابل، ومن اللطيف ان يشاهدوا نموذجا جميلا من "جنائن بابل المعلقة" المشهورة في التاريخ... تلك الحديقة التي كانت اجمل ما في المدينة والتي شادها الملك نبوخذ نصر لزوجته الحسناء ابنة امير ميديا، لقد كانت هذه الاميرة قبل زواجها تعيش في مدينة جبلية وقد تعودت منذ طفولتها رؤية الجبال وجمالها، فلما تزوجها الملك نبوخذ نصر تركت مدينة والدها الجبلية واقامت معه في بابل فثار في نفسها الحنين الى وطنها وتمنت العيش في محل تكثر فيها الجبال، فلما رأى زوجها الملك ما بها من حنين بنى لها هذه الحدائق المعلقة ولم تكن هذه الحدائق معلقة في الهواء كما يتوهم السامع وانما كانت طبقات مدرجة واسعة متينة قائمة على اقواس من الحجر، تصل السالم بعضها ببعض، وعلى كل مدرج من هذه المدرجات طبقة من التراب ليسهل نمو الزهار والاشجار عليها.

وبعد هذه الجولة في انحاء المدينة قصدنا سعادة الاستاذ فاضل بابان متصرف اللواء ليحدثنا عن الاعمال التي قامت بها الادارة المحلية في لواء الحلة خلال هذه السنة وعن مشاريع مجلس الاعمار.

قال سعادته: ان الاعمال التي قامت بها الادارة المحلية تناولت المرافق الحيوية كافة، فمن الناحية الصحية تمكنا من تأسيس المستشفى السيار، وهو مستشفى كامل العدة والعدد والاول من نوعه في العراق، اذ تحملت الادارة المحلية نفقات شراء السيارات وما تحتاجه من مصاريف لرعايتها، ونفقات انتقالها من مكان لآخر، وقد ادى هذا المستشفى خدمات كبيرة لابناء القرى والارياف، وبالاضافة الى ذلك فقد ابتاعت الادارة المحلية اربع مكائن من نوع "تيفا" لقتل الحشرات، وزودت بالمواد الكيماوية المبيدة للحشرات، وقد انشأت ثلاثة مستوصفات صحية ثابتة في كل من قرية جناجة وابي جاسم والجوادية، كما ثبتت الادارة المحلية اكمال تشييد المبرة الملكية للامومة والطفولة في الحلة.

ومن الناحية الثقافية، قامت الادارة المحلية بتوسيع حملة مكافحة الامية في انحاء اللواء وتمكنا من فتح دار المعلمين الابتدائية، اذ تحملت الادارة المحلية عبئا كبيراً من مصاريفها منتشييد البناية الى قبول قسم من الطلاب والانفاق عليهم. وقد سدت جميع الشواغر في ملاك التعليم الابتدائي المحلي في اللواء. كما تم تشييد ١٢ مدرسة جديدة ابتدائية بالاضافة الى المباشرة بتشييد ٤ مدارس على حساب مجلس الاعمار. ويوشر بتغذية ٢٠٠٠ طالب تغذية كاملة وارصد مبلغ قدره ٨٠٠٠ دينار لهذه الغاية بالاضافة الى تزويد الطلاب كافة بالحليب وكبسول دهن السمك حسب ارشادات الطبيب المشرف على صحة الطلاب، واعلنت مناقصة اكساء الطلاب بالبدلات الشتوية والطالبات الفقيرات بالصدريات.

ونظرا للتوسع الحاصل في مدينة الحلة وكثرة الزوار الذين يفدون اليها من عراقيين واجانب ، وجدنا ان المدينة مفتقرة الى مصلحة نقل الركاب لذا بادرنا الى تأسيس هذه المصلحة، وكان قوامها ست سيارات وهي من احدث الانواع، وكان اقبال الناس عليها شديداً. ونظرا للمراجعات التي حصلت من الاهلين لهذه المتصرفية ومتصرفية لواء كربلاء ولكثرة زوار مدينة النجف الاشرف وما يعانيه هؤلاء من رداءة وسائل النقل الاهلية بين الحلة والنجف عملنا على تسيير خط لسيارات المصلحة بين المدينتين بالاشتراك مع مصلحة نقل الركاب في النجف، فكان لهذا العمل اثر بالغ واستحسان كبير لدى الجمهور، ولنجاح مشروع مصلحة نقل الركاب والتحقق من فائدته قمنا بشراء ثماني سيارات اخرى فبلغ مجموعها اربع عشرة سيارة، وان العمل جار لربط انحاء اللواء كافة بمدينة الحلة بعد تبليط جميع الطرق. وقد تم حتى الان تبليط طريق الهاشمية – المدحتية وصرف مبلغ قدره ١٩،٠٠٠ الف دينار كما صرف لصيانة الطرق ٥،٠٠٠ دينار.

وحدثنا سعادة المتصرف عن اعمال مجلس الاعمار في لواء الحلة وهي:

اولا: مشروع المسيب الكبير لاحياء اراض زراعية لم تزرع منذ زمن بعيد، واحداث وحدات استثمارية للملكية الصغيرة فيها.

ثانيا: تبليط طريق بغداد – الحلة، ومن المتوقع الانتهاء منه قريبا وسيكون لها اثر كبير في نشاط الحركة التجارية وتحسن الحالة الاقتصادية في اللواء.

ثالثا: انجاز طريق الحلة – الكوفة والذي افتتح رسميا في السنة الماضية.

رابعا: انشاء جسر الهندية الثابت والذي افتتح في السنة الماضية ايضا.

خامساً: تنظيم سايلو الحلة.

سادسا: مشروع توسيع نهر الحلة من سدة الهندية الى صدر الدغارة، والغرض من هذا التوسيع تأمين حاجة المزارعين من الماء واحياء اراض جديدة لم يستفد الافادة منها ومن ثم تحميل حوض النهر، وتجري الان دراسة لتوزيع جدول بابل واحياء اراضي تقدر مساحتها ٤٥٠ الف مشارة توزع على صغار الفلاحين والملاكين.

هذا هو موجز لاعمال الادارة المحلية في لواء الحلة وملخص لاعمال مجلس الاعمال فيها وهناك اعمال اخرى لها اهميتها من الوجهة العمرانية قامت بها بلدية الحلة، حدثنا عنها سعادة الاستاذ عبد الجبار الشيخ جواد رئيس البلدية وهي:

١- مشروع حي بابل: شرعت البلدية باستملاك الاراضي والبساتين الواقعة في الجانب الصغير وتقسيمها الى عرصات للبيع، وقد تم استملاك الجزء الاكبر منه للاهلين، وشيد عدد من الدور على هذا الجزء وبلطت وعبدت جميع الطرق الفرعية والعامة المحيطة بها، ونظمت حدائق الحي ومنتزهاته، ويشاهد في مدخل المدينة نافورة جميلة وشاهق وقد سلطت عليها الوان قوس القزح مما يسبغ على الحي منظرا خلابا في الليل.

٢- حي الويسبة، استملكت الاراضي الواقعة في الويسبة وقسمت الى عرصات وانشأت فيها ٣٥ دارا لحساب وزارة الشؤون الاجتماعية لصغار الموظفين والعمال كما بني فيها مدرسة وكاراج لمصلحة نقل الركاب ودار للمعلمين الابتدائية، وقد بلط الشارع الرئيسي المؤدي الى هذا الحي، ووزعت جميع العرصات على الاهلين لانشاء دور السكن.

٣- حي المسابك: لقد وجد ان بقاء المسابك داخل البلدة فيه ضرر على الصحة العامة، لذا استملكت البلدية المنطقة الواقعة جنوب الحلة بنهاية حدود البلدية لانشاء حي للمسابك وابعادها عن المدينة. وهناك عدة مشروعات اخرى تقوم بها الآن بلدية الحلة منها تبليط الطرق العامة في داخل المدينة وانشاء المنتزهات والحدائق، وبناء عمارة كاملة للبلدية نفسها، ونصب مولد كهربائي جديد بقوة الف كيلو واط لسد حاجات المدينة المتزايدة الى الطاقة. ثم هناك مشروع الماء الجديد الذي سيتيح للسكان الحصول على حاجاتهم من الماء الصحي العذب.

هذه هي الاعمال الكبيرة في الحلة والتي يدرك الزائر لها اليوم، والذي شاهدها قبل عشر سنوات او اكثر، مدى الفرق الشامل في جميع النواحي العمرانية والثقافية والصحية، وتبلغ مساحة لواء الحلة ٥٢٨٦ كيلومترا مربعا وعدد نفوسه اكثر من ربع مليون نسمة، ويقع هذا اللواء في ارض خصبة سهلة تكثر فيها البساتين وتزرع فيها الحبوب والكثير من اشجار الفاكهة، ويعتمد لواء الحلة في الري على ناظم الهندية الى حد بعيد.

هذا ولا يذكر اسم الحلة محسنها الكبير الحاج عبد الرزاق مرجان الذي شيد على نفقته مستشفى الامراض الصدرية وقدمه لوزارة الصحة وهو من اكبر واحدث المستشفيات في العراق وقد كلف ١٥٠ الف دينار فضرب بذلك مثالا صالحا وبدأ تقليدا سيكون من حسن حظ البلاد لو عمل به المحسنون من ذوي اليسار، وبالخطو الجرئ الذي تمضي به الحلة في طريق الاعمار ورفع مستوى العيش، فان الذين عرفوا الحلة زمنا ثم غابوا عنها في السنوات الاخيرة قد لا يميزون الكثير من معالمها بسهولة اذا جاؤوها خلال بضع سنوات من الآن اللهم الا اطلال بابل والفرات الخالد.

مجلة اهل النفط 1956

بلدية الحلة على الشاطئ الهادئ

كورنيش الحلة

جسر الحلة الحديدي على نهر الحلة

مستشفى مرجان

اوراق قديمة

المرحوم خليل عزمي... المتصرف والاديب.. نماذج من الاسلوب الادبي في المخاطبات الرسمية..

احمد سامي الجلبي

من المعروف عن المرحوم خليل عزمي انه كان كاتبا واديبا قبل ان يكون اداريا بكثير من المواقف المعبرة عن روح الاديب واصالة الفكر.

عمل المرحوم خليل عزمي في الموصل اكثر من مرة. فقد كان (قائممقام قضاء الموصل) عام ١٩٢٣ فكانت له مواقفه الادارية المشهودة حينذاك خاصة ايام الاحداث المعروفة (حادثة التياريين) كما اصبح في ذلك العام وكيلا (للمتصرف) للمحافظ اكثر من مرة.. وقد اتضفت كل مخاطباته الادارية وكتاباته الرسمية باسلوب ادبي محبب اذكر منها على سبيل المثال لا الحصر بعض فقرات البيان الذي اذاعه على ابناء الموصل يوم وفاة المرحوم الملك فيصل الاول في الثامن من ايلول عام ١٩٣٣ حيث جاء فيه "تساميت ايها الشعب النجيب في عاطفتك عند الخطب يوم هوى الموت بابيك مؤسس صرح مجدك ورافع لواء عزك الطود الانساني الفرد (فيصل) بن الحسين فكنت فوق حدود التقدير).

كما جاء في البيان ايضا: (اذا كان في الندب والنواح ما يخفف الصدور ويبل ثرى الفقيد العظيم فلا تنس ان في الصبر والسكينة امثل العلاج لتهوين الاثر ودرس العبر واستبقاء الروح الوطنية الذي كان يمثل به الفقيد الراحل شعبه النبيل في الازمات عندما اجتاز به اشد عقبات الخطر).

ثم عمل خليل عزمي في الموصل عام ١٩٤٨ حيث جاء (متصرفا) محافظا لها فكانت له مواقفه الادارية المسجلة له في صحف الموصل حينذاك وكان تشجيعه للادب والادباء كبيرا اضافة الى ما اتسمت به مخاطباته الرسمية كالعادة من تعبير ادبي رفيع.

واذكر ان كتابا باسم (فلسطين) لمؤلفيه الاستاذين فخر الدين العبيدي ومحمد حامد الطائي قد صدر ذلك العام كتب عنه المرحوم عزمي مايلي:

"تتبع رافقه الاخلاص منذ ظهوره في مكامن الشعور النبيل وجهد كبير متواصل الحلقات دفعت به الاحاسيس الشريفة منذ شخوصه من مواطن الكرامة الجريحة بظلم القرن العشرين وجور عصر النور وجهاد صامت يفوق بقتله جهاد الميدان وتضحية بعيدة الاثر ستبقى الاجيال القادمة عبرة ومواعظة مادام للامة العربية تاريخ يتلى وايام خالدة. ذلك كله تقمص في المؤلف القيم (فلسطين) لمؤلفيه الاستاذين الفاضلين (فخر الدين العبيدي ومحمد حامد الطائي) فاسجل لهما شكري امتنانا وتقديري اعجابا وتشجيعا. خليل عزمي – متصرف لواء الموصل) وقد اجاب الاستاذان العبيدي والطائي بالكلمة التالية:

(صاحب السعادة الاستاذ الكبير خليل عزمي المحترم..

بلاغة سمت، واسلوب ارتقى وشعور فياض، وعواطف سبقت بكلمة خطها براع اديب وانشاها فكر مجرب وسبكها منطق عاقل، فاذا الكلمة اية واذا الاية صورة واذا الصورة كنز، فكان الكنز نغمة قدمها قلب كريم وفتح مغالقها لسان حكيم واهدى مفاتيحها قلب كف عظيم، فكنا بالكلمة مسرورين وبالصورة متباهين وبالنغمة ممتنين.

تلك كلمة تقديركم صفحة من صفحات قلوبنا ونال تشجيعكم ابرز ركن من اركان نفوسنا فبأي لسان ترد الشكر باجزله، وباي قلم نخط الجواب باطيبه .

عجز اللسان عن التعبير وتوقف القلم عن التحبير فلتنطق القلوب. ولتعبر الاحاسيس بعد ان اعيا اللسان الجواب والقلم).

كما اصدر المرحوم خليل عزمي خلال وجوده كمتصرف للواء الموصل كتابه الموسوم (السراج الوهاج) الذي كان موضع اهتمام وتقريظ ادباء الموصل حينذاك.

الخوريات
في الاغاني الشعبية التركمانية

يتداول التركمان في العراق نوعا من الاشعار الشعبية المدونة – وان جرت اخيرا محاولات لجمعها – لايعرف قائلوها، وقد تناقلوها جيلا عن جيل منذ قرون، وهي على الاغلب بشكل رباعيات جناسية موزونة يسمونها "خوريات" او "قوريات".

وقد اختلف الكتاب في مصدر لفظة الخوريات، ويعتقد بانها ولدت في اسيا الوسطى، مهد التركمان – وحملتها القبائل التركمانية الرحالة في هجراتها المتعاقبة حتى وصلت الينا، وقد انتشرت هذه الاغاني الشعبية في جميع الاقاليم التركية، فنجد لها امثلة بارزة في اداب تركيا واذربايجان والعراق واقاليم وسط اسيا التركمانية.

اما عن منشأ لفظة الخوريات، فيعتقد بانها ماخوذة من كلمة (قور) الاويغورية التركية او (خور) في سائر اللهجات التركمانية. ولا زالت القوافل التركمانية من التتار والبشكيريين والتركمان والقوغيزيين يترنمون بنوع خاص من الاغاني الشعبية على شكل رباعيات يسمونها "خور".

اما من ناحية الشكل فانها تنتظم في رباعيات موزونة، وقد تكون بشكل مقاطع شعرية مع تكرار الشطر الرابع من الرباعية والذي يكون بمثابة اللازمة لهذه القطعة الشعرية. ويتألف الشطر الاول للرباعية – غادة من كلمتين مدغمتين تؤديان معنى جناسيا متكاملا، وقد تكونان مضافا ومضافا اليه وهذا الشطر بمثابة القافية للرباعية. ويشتمل ضمون الخوريات على جميع نواحي النشاط الاجتماعي الانساني، ويكاد يكون سجلا حافلا للفروسية والحب والنوادر والالغاز والحكميات والعادات والتقاليد والبكائيات وحتى الفلسفة، والسمة المميزة لهذه الرباعيات انها تعبر عن حب الحياة بروح من المرح والتفاؤل وان خالطها شيء من الكآبة والحزن وما ذلك الا مظهر من مظاهر الحيوية والحرارة الشعورية والثورة على الجمود والموت.. ونزوع للحياة.

والشاعر الشعبي التركمان لا يشير الى مشاكله صراحة وانما بشيء من التلميح دون التصريح فهو يشكو الزمان الذين "اعطى الجوز للذي بلا اسنان" او الذي جعل "النذل اللئيم يعتدى على الفاضل المستقيم" وهذا التلميح ما هو الا نقد موجه للاوضاع غير السليمة – السائدة في تلك العصور – التي يشكو منها الشاعر، لذلك فقد احتمى وراء اساليب "الجناس" للتخلص من بطش ذوي السلطان والتأثير على السامع لكي يعطف على المبتلين والجرحى – مجازا – والبائسين.

وان "الجراح" و"الدواء" و"العادل" و"الرقيب" و"الحبيب" و"النذل" لها مدلولات خاصة "في الخوريات التركمانية. فالجراح كناية عن المصائب والمصاعب والالام. و"الدواء" هو الانتصار على هذه المصائب والسيادة على الزمان اما "العادل" و"النذل" و"الرقيب" فهي القوة التي تقف بالمرصاد دون حصول الشاعر على بغيته، اما "الحبيب" فهي الامور التي يتمنى الان تتحقق له وبالتخلص من الالام والراحة والاطمئنان.

ورغم ان جميع هذه الرباعيات لها طابعها الفردي، الا انها تعبر عن روح الجماعة الذين يشاركون الشاعر في البلوى. وتشتمل فكرة الالم في الخوريات على عنصرين: عنصر القوة التي تتمرد على الزمان وتكابر الالم نفسه، وعنصر الضعف الذي يتمثل في الامل الغامض في ان تحل المشاكل نفسها بنفسها، وانتظار العون والانقاذ من خارج كيانه..

ويدخل قسم كبير من الخوريات في صلب الاغاني الشعبية التركمانية، ولا يزال الشعراء ينسجون على نفس المنوال في نظم رباعيات بديعة ذات مضامين متطورة جديدة.

وتغنى هذه الرباعيات بنوع خاص من المقامات التي لها انغامها المنتظمة، ويمكننا القول بان هذه الالحان تختص بالخوريات التركمانية في العراق فقط، ومما هو جدير بالملاحظة انها موسيقى تركمانية قد ولدت في كركوك نتيجة لحاجة المغنين اليها، بحيث اصبح لها مقاماتها التي تميزها عن موسيقى تركيا واذربايجان، وما زالت كركوك تحتفظ بالمقامات الخاصة بها والتي لا يعرف مثيلها في مكان آخر ويوجد ما يقارب العشرين مقاما للخوريات منها: مخالف بشيري، كسوك، يتيمي، موجيلا، كوردو وغيرها. ومعظم هذه المقامات مستخرجة من المقامات العراقية الشهيرة، فقد استخرج مقام المخالف من "السيكاة" وبشيري من "الرست" ومال الله من "الحجاز" واحمد دايي من "الجاركاه" كما ان ثمة مقامات للخوريات قد استخرجت من المقامات التركمانية الاخرى. فمثلا ان مقام "مطري" مستخرج من مقام "عمر كله" وثمة مقامات تنسب الى قراء الخوريات الشهيرين امثال "موجيلا" و"مجاو" وغيرها.

وقد بدأ اهتمام المعنيين بالادب بجمع هذا التراث الشعبي، وتدوينه، خلال القرن التاسع عشر، وكانت اولى المحاولات تلك التي قام بها الشاعر التركماني "سيد عرفي" حين جمع مجموع كبيرة من الخوريات وذلك في ربيع الآخر سنة ١٢٦٨ هـ" اما عن طبع ونشر هذه الاغاني، فقد بدأ في منتصف القرن العشرين في سنة (١٩٥٠) بالذات. عندما طبع محمد حبيب قسما منها باسم "الخوريات والاغاني الشعبية التركوكية" وتلى ذلك محاولات تلك التي قام بجمعها وطبعها الكاتب التركماني المرحوم "ملا صابر" في ثلاثة اجزاء باسم "منتخبات من خوريات كركوك". وتعتبر مجموعة الاستاذ عطا ترزي باشي اول دراسة موضوعية قيمة للخوريات، جمع فيها ما يربو على الفي رباعية نشرها في ثلاثة اجزاء باسم "الخوريات والاغاني الشعبية في كركوك" اشتمل الجزء الاول منها – سنة ١٩٥٥ م – على المقدمة بينما تضمن الجزآن الاخران الرباعيات المذكورة.

واليكم قسما من الخوريات التركمانية المترجمة.

بغداد
اني احب بغداد
انى للبلبل ان ينسى
لذة الروض وهيام الورد؟
××× انه يعدل مئة بدر
نعم.. ان جمالك يعدل مئة بدر
رب شهر لا يعدل يوما واحدا
ورب يوم يعدل مئة بدر
×××

ايها البائس.. لم الشكاه
انها الايام .. سوف تمضي
فان الذي سد الابواب
سوف يفتحها يوما.. ما
×××
ثمة عين
نعم .. هناك الكحل وهناك العين
فثمة عيون تزار
وهناك اخرى .. لا تستحق غير العمى
انا جريح .. فلا تقسو علي
لا تقسو علي
لقط طعنني النذل اللئيم
فان كنت كريما.. فلا تقسو علي

مجلة العراق الجديد 1961

السماور
زينة البيوت البغدادية

فخري حميد القصاب
كاتب في التراث الشعبي

السماور.. السلطان المتربع وسط مجالس العوائل العراقية الشعبية، وما تربع الا وارتسمت على وجوه الملتفين حوله فرحة مفعمة بالبهجة والحبور.. ترى ما سر هذا السحر الذي ينبعث من هذا الكأس المعدني الكبير؟ وما سر هذه النغمة الموسيقية لهذا الشيء المحبب الى نفوسنا، تلك النفوس التي سرعان ما تنسى بهجة الطبيعة الخلابة وتشرئب باعناقها الى هنا (السلطان) الذي ينتصب بشموخ كلما تسنى لها الخروج الى الحقول والبساتين العامرة لتقترش الارض المطرزة بالخضرة ولتترع من حضنه الشاي في الاقداح الزجاجية المتألئة.

قد يجهل الكثير منا مصدر تسمية هذا الوعاء المعدني الجميل والبلدان التي تصنعه وكيفية انتمائه الى عالمان الشعبي، سيما وقد اصبح "جسر" من فولكلورنا (تراثنا الشعبي) منذ زمن ليس بالقصير.

ان لقطة (السماور) اذربيجانية الاصل وهي ليست فارسية كما يعتقد البعض، واللقطة مركبة من (سما) و (فار) اي من (طبخ بنفسه)، ويبدو من تعريب الكلمة ان هذا الوعاء لم تقتصر مهمته على تسخين الماء تمهيدا لعمل الشاي (وتخديره) بل كانت له مهمة اخرى هي طبخ او احماء بعض المأكولات لكونه مصدرا لحرارة جيدة، وقد شاعت تسميته بـ(السماور) بدلا من (السما فار) لكون العامة لا تستسيغ لفظة (الفاء) الاعجمية لفخامتها كما هو الحال بالنسبة لكثير من الالفاظ العامية الدخيلة.

السماور عند العراقيين

ان عهد العراقيين بالسماور مقرون بعهدهم بالشاي، فهذا الاخير لم يعرف في بغداد إلا بعد الحرب العالمية الاولى وكان استعماله على نطاق ضيق ويكاد يكون تناوله مقصوراً على فترة المساء فقط، اذ لم يألف البغداديون احتساءه عند الفطور، اما كيفية انتقال وشيوع هذا المصنوع الفولكلوري في العراق، فمن المرجح انه انتقل الينا عن طريق ايران المتاخمة حدودها لحدود اذربيجان السوفيتية من جهة ومتاخمة حدودنا لحدود ايران ووجود جالية كبيرة من الايرانيين المقيمين في العراق من جهة ثانية، وبعد ان تخطى السماور حدود ايران وشاع استعماله بكثرة في العراق نشأت طائفة من الصناع المهرة تخصصت في صنعه وزخرفته بشكل لا يقل روعة عن السماور المستورد من الخارج.

وتكاد مدينة كربلاء تنفرد بصناعة (البرنج) دون غيرها من المدن، ويتركب البرنج من الصفر والرصاص وكان يستورد قديما على شكل صفائح كورق المقوى اصفر اللون ويستعمل للسماورات والمناقل والدوالیك والصواني الكبيرة والصغيرة وتزين بالصور والنقوش البديعة المختلفة كصور الملوك المعروفين وصور المناشر والقباب المقدمة او يكتب عليها بعض الادعية والسور القرآنية القصيرة، وعاملها يعرف بـ (الدوانكر) اي صانع الدواة حيث الدواة، وهي مستودع الحبر، تصنع من البرنج سابقا، واستعمل هذا الاصطلاح لكل من يعمل ادوات البرنج، وهناك معامل تقوم بمختلف انواع البرنج.

وقيل عن التراث الشعبي: "هو فن ينتزع اصالته ما لا ينجم عن انتماء مدرسي ولا عن تقليد مهني جماعي، انما القضية في اغلب حالاتها هي قضية محاولات عفوية لفنانين اكثر من كونهم صناعا، منذ بدء اختيار الموضوع حتى الانتهاء من العمل، اذ يذلوا كل ما في طوقهم ونهضوا بالعمل كله بانفسهم، ومن ضمن ذلك تمرسهم الفني واكتشاف وسائلهم اليدوية الخاصة وكان الكاتب الروسي الشهير (تولستوي) يفضل المبدعات الشعبية على كثير من روائع الفن الرفيع المعروفة.

وعلى الرغم من ان السماور مصنوع اجنبي المنشأ الا انه دخل تراثنا الشعبي العراقي واصبح جزءا منه، حيث ان هجرته وانتماءه الينا لم يكن على اساس انه فولكلور اجنبي انما امتدت اليه اليد العراقية الشعبية، بعد اقبال الناس على استعماله، لتتفنن في صنعه وتطويره واشباعه بالروح العراقية الصميمة الامر الذي ادى الى ظهور طبقة متخصصة من الصناع المهرة في هذا الميدان.

السماور والمجالس الشعبية

لم تكن في بغداد والمدن العراقية الاخرى منذ عدة عقود من الزمن تلك الرياض والمتنزهات التي تشهدها في وقتنا الراهن، فكانت الحقول والبساتين الحبلى بالاشجار الزاهية بالثمر هي الملجأ الذي يلوذ به العراقيون، والبغداديون على وجه الخصوص، لقضاء اوقات هانئة في المناسبات المختلفة، وكان السماور هو رفيقهم في هذه المناسبات اذ يندر جدا ان ترى عائلة لا تصطحب معها هذا الوعاء البحري الجميل وكان السماور هو سيد الحلقات الشعبية التي تلتئم في المواسم والمناسبات، وكان (النوروز) من ابهج هذه المواسم الشعبية لدى العراقيين عربا واكرادا، ويصادف في اليوم الحادي والعشرين من اذار من كل عام، ويعرف النوروز عند البغداديين بيوم الربيع اي يوم (دورة السنة) او (التحويل) او (الجمبر سوري) وكانت العوائل الشعبية تخرج الى حيث غمر الربيع كل بقعة من بقاع الارض باوراده الزاهية وخضرته الرائعة واجوائه النشواة وهي تحمل السماورات وملحقاتها والتي تسمى بـ (العدة) اي عدة الشاي، اضافة الى الابسطة وانواع الاطعمة والمأكولات والكرزات وغيرها، وتبدأ احتفالات دورة السنة من صباح اليوم الباكر وتستمر لغاية اليوم الثالث عشر، وكانت ابرز ميادين احتفالات الربيع مناطق (سلمان پاك) و (الكاظمية) و (السيد محمد) و (سامراء) ومناطق كثيرة من بغداد ولاسيما ضواحيها.

ولم يكن للسماور الدور البارز في حلقات السمر والنزهة في احتفالات الربيع فحسب بل كان يلعب نفس الدور في (الملكات) وهي الاحتفالات التي كان يقيمها البغداديون في اليوم التالي لكل عيد (عيد الفطر وعيد الاضحى). ومن اشهر احتفالات الكسلة في بغداد كسلة كرادة مريم التي تقام في الجمعة الاولى بعد العيدين، وكسلة (سيد ادريس) في الكرادة الشرقية التي تقام في الاحد الاول بعد العيدين، وكسلة (ابو رابعة) في الاعظمية التي يحتفل بها في الاربعاء الاول بعد العيدين.

اما اهم المناطق التي كانت تشهد هذه الاحتفالات – اضافة الى ما ذكر – فهي مناطق (الشيخ معروف) و (براثا) في العطيفية و(الشيخ عمر). وكان السماور يضفي على اجواء هذه التجمعات الشعبية بهجة وتألقا عظيمين لما فيه من روعة فولكلورية سحرية شدت اليها قلوب الناس زمنا طويلا وكأن السماور صنع خصيصا لمثل هذه المناسبات فجمع بين الفن الشعبي الرفيع وبين البساطة العفوية التي تتميز بها الفنون الشعبية عامة، وهنا يكمن – في اعتقادي – سر تعلق الطبقات الشعبية به وانجذابهم اليه، وهذا ما يفسر قول مكسيم غوركي: "ان الفولكلور له القدرة على خلق صورة عميقة وواضحة ولها قوة التعميم وخاصة فيما يتعلق بصلة الانسان بالعمل".

والسماور، فضلا عن وظيفته الاساسية كوعاء لتسخين الماء لتحضير الشاي و(تخديره)، له وظيفة اخرى هي التدفئة. وفي البيتين الشعبيين التاليين يفاخر الشاعر الشعبي بامتلاكه سماور شاي يقيه شر برودة شباط (الازرك) فيقول من (النايل):

شباط (الازرك) نحرني
قولجي ورمأي
وان جان ناشك برد
عدنا سماور جاي

ومن منا لم تشنف اسماعه الاغنية الشعبية القديمة (خدري الجاي خدري) التي طالما رددها الجيل الماضي مترنما بالحانها ومعانيها بنشوة غامرة زال صداها يتردد في عوالم جيلنا الحاضر وكأن غبار الزمن يأبى ان يتراكم عليها:

خدري الجاي خدري
عيوني المن أخدره
مالج يا بعد الروح
دومج مكدره

ان شرب الشاي لا يحلو اذا كان الحبيب غائبا، وقد تكون الحبيبة شاردة الفكر لاتدري ما تصنع اذا لم يكن حبيبها ماثلا امام ناظريها:

خدرته بالفافون
حسبالي قوري
انها – والحالة هذه – تابى باصرار ان تهيء السماور وعدة الشاي:

لا أملي السماور
ولا اغسل الماعون

ثم تقسم انها لن تفعل ذلك الا اذا تكحلت عيناها برؤية حبيبها.. كيف لا وهو الذي يضفي على جو هذه الجلسة جاذبية ونشوة جماله الساحر؟؟

احلف ما اخذره
ولا اكعد كباله
الا يجي المحبوب
واتمعن جماله

وهذا شاعر شعبي يتغزل بـ (كذلة) حبيبته و (زلفها) واصفا الاولى بادوات الشاي والثانية بالكريم الذي يحب بالاحباب:

والكذلة عدة جاي بيها
استكانات

واذا كان لا بد لي من كلمة اخيرة هنا فليس لي الا ان اقول ان السماور لم يعد له ذلك السحر في نفوس العراقيين لاندثار اغلب المهرجانات الشعبية الفولكلورية التي كان السماور زينتها وسلطانها، ويكاد وجوده في وقتنا الراهن يقتصر على كونه اثراً فولكلوريا تزين به البيوت وبعض المقاهي واجهاتها وزواياها كما تزين الصور والمناظر الخلابة الجدران والاماكن البارزة ولكن الزمن سوف لن ينسى ذلك الدور الذي لعبه السماور في حياتنا، وقد قال يوري سوكولوف: "ان الفولكلور صدى للماضي، ولكنه – في الوقت نفسه – صوت الحاضر المدوي".

تركيب السماور وانواعه

السماور على انواع كثيرة من حيث تركيبها واطارها العام، بيد ان الشاي منها يكون قسمه الاسفل عبارة عن ماكنة ذات فتيلة على غرار القسم الاسفل للمدفأة النفطية المعروفة، ويخرج من هذا القسم انبوب اسطواني الشكل يصل الى القمة. اما محيط الجدار الخارجي للسماور فهو وعاء مجوف لاحتواء الماء الذي ينزل من الانبوب (الحنفية) ساخنا، وعلى جانبي هذا المحيط مقبضان يدويان لامكان حمله من مكان لآخر ويوضع على قمة السماور عادة (قوري) لتسخين الشاي والمحافظة لى ديمومة سخونته وحرارته، ومن ملحقات السماور (الصينية) التي ينتصب عليها السماور مع اناء صغير (طاسة) لاحتواء فضلات الماء الساخن الذي ينسكب من الحنفية عند استعمالها المتكرر. وهناك نوعان من السماورات: نوع فارسي وآخر روسي، ومن ارقى انواع السماورات الفارسية (عالي نشب) ثم (علاء الدين) و(كرخانة شركاء)، اما انواعها من حيث السعة والحجم فهي كثيرة فهناك (بك لتري) و(دولتري) و(سه لتري) و(بنج لتري).. الخ والنوعان الاخيران اكثر شيوعا في البيوت، ويستعمل النوع الاول (يك لتري) لاشخاص قليلين لصغر حجمه، وكثيرا ما يكون هذا النوع مرصعا بالاحجار الكريمة وهناك نوعا آخر اصغر حجما من (بك لتري) لايستعمل استعمالا حقيقيا بل يتخذ كزينة ويكون مرصعا ايضا بالاحجار الكريمة . اما انواع السماورات من حيث الوقود، فمنها ما يكون وقوده النفط او اكلهرباء او الفحم، وكان النوع الاخير هو المفضل قديما، وقد علمت ان هناك سماورات حديثة استعمل الغاز وقوداً لها.

ويصنع السماور من البرونز او يكون مطليا اما بالنيكل او بالكروم، والنوع الاخير من اجود الانواع لكونه غير قابل للصدأ.

السماورة والفولكلور

ان تعبير (الفولكلور) الذي استعيض به عن تعبير (الاثار الشعبية) تندرج ضمنه الاثار العفوية للشعب سواء كانت شفاهية ام عملية.

فالحرف والمصنوعات الشعبية تشكل ركنا اساسيا من اركان الفولكلور، ولما كان (السماور) من روائع المصنوعات الشعبية فانه يعتبر اثرا فولكلوريا صميما سيما وان استعماله قد اقترن بكثير من التقاليد والعادات الشعبية كالخروج من الحقول والبساتين في (الكسلات) واعياد السريع والمناسبات الشعبية الاخرى.

مجلة السياحة 1959

صورة للتشابيه، وهي اعادة تمثيل لوقائع استشهاد الحسين بن علي

رواق في مسجد السهلة في الكوفة

شرطي في صورة للذكرى عند مقام الامام الحسين (ع) في كربلاء عام ١٩٣٢

تشابيه في مدينة المحمودية

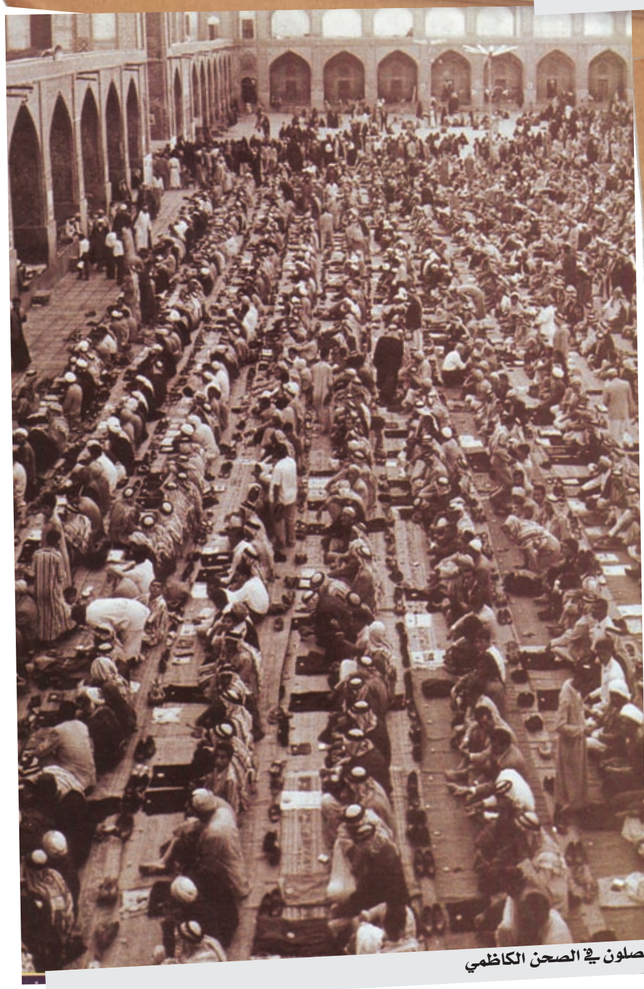

مصلون في الصحن الكاظمي

الملا صالح يقرأ مقتل الحسين (ع) في العاشر من محرم

صحن الامام الحسين (ع) في اواخر القرن التاسع عشر

عبد الحميد زاهد

مؤسس المكتبة الوطنية في سوق السراي

زين النقشبندي

ولد مؤسس المكتبة الوطنية الشيخ عبد الحميد زاهد في النجف سنة ١٨٥٩م وهو من أسرة الزواهد التابعة لقبيلة المياح، ونشأ وتعلم على والده الشيخ علي، الذي أدخله الكتاتيب فتعلم القراءة والكتابة والقرآن الكريم، ثم دخل المدارس الدينية ودرس النحو والصرف وشيء من الفقه وتتلمذ نوعاً ما على السيد محمد سعيد الحبوبي، وكان له اتصال بشباب النجف المثقف اتصالا وثيقاً ثم ترك الدراسة وأنصرف إلى الاشتغال في بيع الكتب، فأخذ غرفة في اواوين الصحن الحيدري الشريف وجعلها مكتبة، ثم قام بتأسيس المكتبة الحيدرية التي باعها فيما بعد إلى صادق محمد الكتبي

وكانت أسرة آل زاهد ، وبخاصة والده المرحوم الشيخ علي زاهد معنية بتيسير الكتاب لطلاب علوم الدين تصدره أو تجلبه وتعرضه فتعين على نشر الثقافة بين الناس، أخذ عبد الحميد زاهد هذه الصناعة عن والده في قلق يصحبه حذق ومهارة فكان في النجف أحد الميسرين للكتب المعنيين بالترويج لها، ويصف الأستاذ علي الخاقاني المجتمع الذي نشأ عبد الحميد زاهد فيه حينذاك فيقول أن هذا المجتمع ككل مجتمع تكون فيه على الأقل أربع طبقات علماء عاملون وعلماء أشبه ما نسميهم بالحياديين ومنافقون وجهلاء ينعقون مع كل ناعق، ففي مثل هذا المجتمع الصاخب الصارم الذي تعيش فيه العادات والتقاليد السخيفة إلى جانب رجال قاموا بمدارس ضخمة كانت تنير عقول الناس وبطبيعة الحال كانت أول مدرسة بعد التدافع العقلي والاجتماعي، مدرسة أبي الأحرار الشيخ ملا كاظم الخراساني، قدمت فصائل من العلماء والرجال وكانوا يساندون هذا العظيم مجموعة من العلماء الأعلام يأتي بطبيعة الحال منهم السيد هبة الدين الشهرستاني (رحمه الله) والشيخ عبد الكريم الجزائري وأخرون كالسيد صالح كمال الدين والسيد عيسى كمال الدين وإضراب هؤلاء وفي طبيعة الحال كان من المساندين في العقل والرأي والإدارة الشيخ جواد صاحب الجواهر (رحمه الله) والشيخ عبد الحسين الجواهري والشيخ عبد الرسول وإضراب هؤلاء الذين خدموا الفكر والعقل في هذا المجتمع فريق أخر يعاكس هذه المدرسة، فريق الدجالين والمنافقين والجهاء وهذه قوة عارمة صاخبة لا يستطيع الصمود أمامها هؤلاء العلماء المترفون في عقولهم، ففي مثل هذا الجو كان عبد الحميد زاهد يعيش، وكان ثورة بكل معناها على التقليد السخيفة وهذه الأشياء السخيفة التي غذاها المستعمر والجهاء بطبيعة الحال، وكان الذي يقرأ جريدة في النجف لا أقول بما أساويه من الموبقات أن قراءة الجريدة في النجف كانت موبقة كبرى لا تساويها أي موبقة أخرى فإذا ما قرأ الإنسان جريدة قيل له إنك زنديق دهري متنور عصري من الألفاظ التي لا يفهمون مفاهيمها.

كان عبد الحميد في هذا الجو يعيش وكله ثورة يهدي الضال وينشد الأشياء الصحيحة وكان (رحمه الله) كثيراً ما عمل أعمال لا يستطيع أي إنسان أن يقوم بها، ففي عهد الاحتلال في عام ١٩١٩م وعهد الرهبة المظلمة العنيفة، كان الوحيد بين المكتبات في النجف وكان الوحيد الذي يجلب الكتب العصرية في وقته وكان رجال العلم والأدب يلتقون في نفس المكتبة، وتدور فيها أحاديث السياسة بما يخص العرب وما يجب أن يكون، وكانت

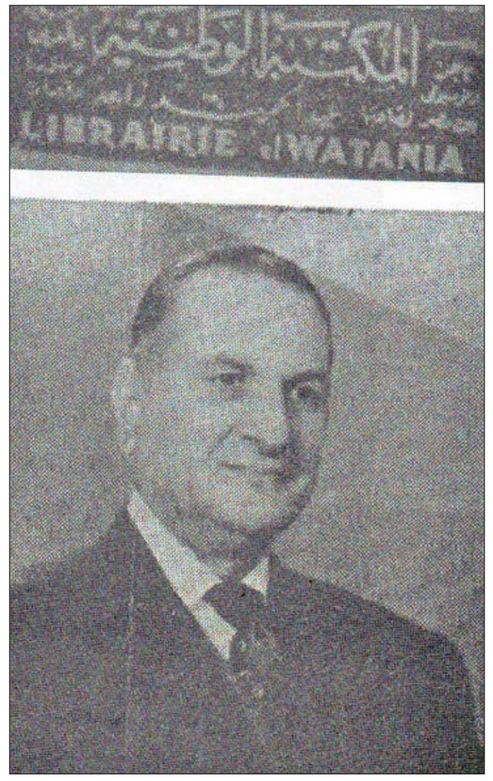

المكتبة المصدر الوحيد لنشر المنشورات السلاح، سلاح الجهل ويمتلكون التهم الرخيصة والشتائم الرخيصة، وكان عبد الحميد يغذي الأفكار وينميها عن طريق جلب المطبوعات العربية من أفاق أوسع من أفقنا المتردي وكان ينشرها على الناس أما بمال أو بنوع من المساعدات للذين لا يستطيعون شرائها، ويذكر الأستاذ سلمان الصفواني (صاحب جريدة اليقظة) عندما كنا شباباً وطلاباً نؤم مكتبة الفقيد العزيز في الصحن الشريف في النجف وذلك أثناء الاحتلال البريطاني وكان رحمه الله يشغل إيوانا وحجرة في الصحن، وكانت مكتبته ناديا وطنيا وملتقى المثقفين الأحرار نتبادل فيها الآراء ونقرأ فيها الصحف والمجلات والكتب الحديثة التي لم يكن لنا بها عهد من قبل ولم يكن أحد من قبله يجلبها إلى النجف في ذلك الحين وكنا نطل فيها على أفاق جديدة من الفكر الوطني والسياسي والأدبي والاجتماعي والعلمي وكان الذين لا يوافقوننا كثيرون وكانوا يرموننا بشتى التهم ويطلقون علينا أسم الفرمستونية أي الزنادقة والله يعلم أننا لسنا كذلك وإنما كنا نتطلع إلى المعرفة بشتى ألوانها وكنا ننقلت من الجحر التقليدي المفروض على عقولنا المنفتحة لنكون أكثر فهما لمشاكل عصرنا وبلادنا ولنكون أقوى على الوقوف في وجه الشبه والتحديات وكان هناك من يستنجد بقطبها الذي تدور عليه والمفاعل الصامت يشيع الحركة من حوله وأن بدا ساكناً ويثار الجدل والنقاش وأن لم يكن من أهل الجدل والنقاش ومن هذا أستطيع أن أسجل في غير حرج أن غريزة حب التجدد فيه فعلت فعلها القوي في التغيرات التي حدثت في الأدب النجفي وفي تطلعاته إلى أفاق أوسع الحياة).

ولما هبت رياح الثورة العراقية الكبرى في عام ١٩٢٠م كان الفقيد من جملة المعتمدين الثقاة في مهمة الاتصال بين العلماء الأعلام في النجف وكربلاء وزعماء القبائل في الفرات وأنحاء العراق ورجال الهيئات الوطنية في بغداد، وكان رحمه الله يخبئ الرسائل في أغلفة الكتب التي كان يصنعها بيديه ويبعث بها إلى من أوكل بها لإيصالها إليه فلا يشك أحد بها فبذا تنجو من أعين الرقباء، وهكذا يكون الفقيد قد ساهم في الإعداد للثورة وفي الثورة نفسها وبيديهي أن الثورة أي ثورة لا تقوم بالبندقية فحسب وليس الثوار هم حملة السلاح فحسب وإنما تعتمد الثورات على الأفكار والعقول والأقلام.

وعندما أجهضت الثورة فر السيد عبد الحميد زاهد إلى خارج العراق خوفاً من السلطة المحتلة وبقي مدة من الزمن ثم رجع إلى النجف وبعد ذلك أنتقل إلى بغداد حيث انشأ عام ١٩٢٣م/ ١٩٢٤ م في سوق السراي (المكتبة الوطنية) وذلك بعد تأسيس الحكم الوطني ليكون مجال عمله أوسع وأرحب حيث صارت مكتبته ملتقى الوطنيين في بغداد كما كانت في النجف وكان حريصاً على نشر الكتب المثيرة للحماسة والنخوة والرجولة، ويذكر الأستاذ سلمان الصفواني، أن عبد الحميد زاهد طلب إليّ أن أقوم بتحقيق كتاب (حرب البسوس) المعروف فقمت بذلك وطبع الكتاب في عام ١٩٢٨م على نفقته باسم: (تاريخ الحروب العربية) ولما رأى أن الطبعة الأولى من المسرحية التي ألفتها في عام ١٩٢٤م باسم (الزرقاء) لمنفعة مدرسة المفيد في الكاظمية قد نفدت تبرع بإعادة طبعها في عام ١٩٢٥م وكان يود أن يطبع كل كتاب يقوي العزيمة ويحث على الفضيلة، وفي عام ١٩٣٣م سافر زاهد إلى القاهرة وفتح فرعاً لمكتبته الوطنية ولكنه عاد بعد فترة إلى بغداد واستمر يعمل في مكتبته حتى وفاته.

وفاة المجاهد الشيخ عبد الحميد زاهد

وفي صبيحة ١٩٧٠/١١/٢٣ انتقلت روحه إلى الرفيق الأعلى وباعلان نبأ الوفاة علمت وكالة الأنباء العراقية وبدورها أذاعته من دار الإذاعة العراقية ما نصه:

(انتقل إلى رحمة الله عبد الحميد زاهد وهو أحد أقطاب ثورة العشرين).

بعض ذكريات الرجب عن صاحب المكتبة الوطنية

أما عبد الحميد زاهد صاحب المكتبة الوطنية- فكان يجلس عند بعض النواب بالمجلس النيابي من شيوخ العشائر وكذلك محمد مهدي الجواهري وسعد صالح وعلي الشرقي.

وفي أيام الجمع كانت تقام سوق للمزاد تباع فيها الكتب بطريقة الهرج ويتبنى هذا البيع عبد الحميد زاهد بصوته ونبراته اللطيفة حين يقول (حبيع صالح هرج) إلا أن ما يعرض في هذا المزاد لم يكن في الغالب إلا من سقط المتاع وما يبور عند أصحاب المكاتب فيدبروا مؤامرة على الزبائن في إقامة هذا المزاد، وفي سنة ١٩٣٣م وفد إلى السوق محمد جواد حيدر وأشترك مع عبد الحميد زاهد في إدارة المكتبة الوطنية، وكان معه رأس مال لا بأس به، إذ قلما وجدت صاحب مكتبة جاء برأس مال لعدم أهمية الكتب والمكتبات برأي الناس.

وترك عبد الحميد زاهد العراق معتمداً في إدارة مكتبته على محمد جواد حيدر وذهب إلى مصر فافتتح مكتبة في القاهرة بميدان العتبة الخضراء، وأخذ يشترك مع الناشرين بنشر بعض الكتب، وأول كتاب شاهدت أسمه مطبوع عليه كتاب (الأوراق للصولي) قسم الشعراء، حققه ونشرة المستشرق الإنكليزي (جورج هيورث دون) الذي أشهر إسلامه بعد سنوات وتسمى بإسم جمال الدين، ولكنني عرفته فرأيته مشعوذاً دجالاً جاهلاً، وقد زار العراق سنة ١٩٥٧ واقترض مني مبلغاً، ولما غادر العراق أثر قيام ثورة ١٤ تموز طالبته بالمبلغ فأنكره، ومن الغريب جداً أن يحصل هذا من أجنبي، ورجع عبد الحميد زاهد إلى بغداد بعد سنتين قضاهما في مصر التي لم يستطع البقاء فيها، وأنفصل عنه محمد جواد حيدر وفتح له مكتبة سماها مكتبة المعارف. بعض مطبوعات المكتبة الوطنية/ عبد الحميد زاهد

١.الأبطال الثلاثة (الملك فيصل- الغازي مصطفى كمال- البهلوي رضا شاه)، بقلم محمد الهاشمي،٨٨ صفحة، مطبعة المعارف، ١٩٣٣م.

٢.تاريخ الحروب العربية أو حرب البسوس، المؤرخ الشهير محمد بن أسحق صاحب المغازي المتوفي سنة ١٥١هـ، ١٩١ صفحة، مطبعة دار السلام، ١٩٢٨م، عني بتصحيحه سلمان الصفواني صاحب جريدة المعارف.

٣.ذكرى السعدون، علي الشرقي، ١٤٢ صفحة، مطبعة الشعب، بغداد، ١٩٢٩م.

٤.ذكرى سعد زغلول في العراق، خلف شوقي أمين الدادوري، ١٨٢ صفحة، مطبعة دار السلام، ١٩٢٧م.

٥. جزء من ألف باء من (القرآن الكريم) طبع سنة ١٣٠٤هـ/١٩٢٧م.

وثيقة تاريخية تنشر للمرة الاولى

رواء الجصاني

هكذا لجأ الجواهري الى براغ قبل نصف قرن

تناول جمع من الباحثين ، وغيرهم ، وفي فترات زمنية متفاوتة ، مواقف الجواهري من النظام الجمهوري الاول في العراق (١٩٥٩-١٩٦٣) بقيادة الزعيم(ثم اللواء) الركن عبد الكريم قاسم، تأييداً ودعما من جهة ، وانتقاداً ، وأختلافاً، بل وتحذيراً مما ستؤول اليه الاوضاع ، من جهة اخرى، ومعروف ماألت اليه فعلاً ... وقد طفحت في عدد من تلكم الكتابات / البحوث ذات الصلة، عواطف وأجتهادات بنيت على السماع احياناً ، وبدون اية اسانيد وان راحت ضعيفة ... وقد سبق ان توقفنا عند بعضها، بهذا الشكل او ذاك ، في شهادات ورؤى غير مرة ، في الاعوام العشرة الاخيرة ، مع تبيان بعض الاراء بصدد حركة (ثورة / انقلاب) الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ في العراق ، ومن بينه كتابتنا المنشورة عام ٢٠٠٨ والموسومة "وصفي طاهر : رجل من العراق" وفيها العديد من المؤشرات ذات العلاقة ، على ما نزعم .

وبهدف المزيد من التأرخة والتوثيق ننشر في السطور التاليات مقتطفات وفيرة من وثيقة نادرة ، يعود زمنها الى نصف قرن مضى بالتمام والكمال ، وفي ثناياها جملة من الوقائع التي ثبتها الجواهري بخط يده ، لتسلط المزيد من الاضواء على شؤون عراقية تاريخية ووطنية ، ولتضيف جملة تقييمات أرخ لها الجواهري شعراً في فرائد عديدة ، فضلا عما تناولته ذكرياته الصادرة في دمشق عام ١٩٨٩ ...

... ففي براغ التي كان الجواهري قد وصل اليها، اول المر ، ضيفاً على إتحاد الادباء ، كتب الى الجهات الرسمية بتاريخ ١٩٦١/٦/٢٠ طلباً باللجوء السياسي ، قائلا ان الاسباب الموجبة لذلك يمكن تلخيصها بما يلي:

" اولا: تمشيا مني على النهج الذي سلكته طيلة حياتي في مجالات السياسة والصحافة والشعر والأدب من أن أكون إلى جانب الجماهير في كل ما يمسُ مصالحها فقد تعرضت منذ سنتين ، وفي خلال الحكم الراهن في العراق لكثير من المضايقات على يد الحاكمين مما يطول شرحه.

ثانياً: ان هذه المضايقات اشتدت في الآونة الأخيرة وقبل عدة شهور بحيث اصبحت ليس فقط مما تجعل استمرار الحياة عليّ وعلى عائلتي المؤلفة الآن من زوجتي وبنتين عسيرة ، بل انها أصبحت تكوّن خطراً على حياتي الشخصية. فقد بلغت قبل شهرين تقريباً حد اعتقالي وسجني – وأنا أناهز الستين من عمري – بأسباب كاذبة مفتعلة – وبعد حدوث ضجة كبيرة من الناس في العراق وفي خارجه اضطر الحاكمون لاطلاق سراحي ولكن بكفالة اولا، ثم باقامة دعاوى سياسية خطيرة ، يتحتم عليّ بموجب القوانين العرفية ، أن امثل أمام المجالس العسكرية القاسية وان اتلقى احكامها الصارمة بحجة انني اخالف سياسة الحاكمين وأسعى لاثارة الشعب العراقي.

ثالثاً: لقد لجأ الحاكمون في مضايقتي ومضايقة عائلتي الى اساليب غريبة غير مألوفة لدى العالم المتمدن. مثل تحريض بعض رجال الأمن السريين، في منظمة "الامن العام العراقي" على الاعتداء عليّ كما حدث قبل اعتقالي بيوم واحد حيث رميت بسهم حجري اصاب عيني اليسرى وكاد يتلفها لولا عناية الاطباء. وقد شخص الناس الرجل الذي رماني وسموه باسمه وهو موظف في "منظمة الأمن العام" كما ذكرت. بل انني قلق الان خوفاً على عائلتي من الاساليب الارهابية الفاشستية التي قد يتعرضون لها في بغداد.

رابعاً: لقد لجأ الحاكمون الى وضع الحجز المالي على مطابع جريدتي "الرأي العام" مما أدى إلى توقفها وتعودا ذلك الى حد وضع الحجز المالي حتى على اثاث البيت الذي نسكنه بالايجار.

خامساً: لقد لجأوا الى الايعاز وبصورة مكشوفة الى كل الصحف القذرة المأجورة لكل حاكم في العراق الى التهجم عليّ وعلى عائلتي تهجما قاسياً ومستمراً دون ان املك حق الدفاع عن نفسي."

... ثم يستمر الجواهري في توضيح بعض التفاصيل ، وجوانب من الوقائع فيقول :

" ان كل هذه الاضطهادات معروفة ومشهورة ليس للشعب العراقي وحده بل ولكل الشعوب العربية بل ولكثير من الشعوب غير العربية التي تعرفني." ... اما توقيع طلب اللجوء فكان- بحسب الوثيقة ذاتها : "محمد مهدي الجواهري ، الشاعر العراقي، ورئيس اتحاد الادباء العراقيين،وصاحب جريدة "الرأي العام" المحتجبة، وعضو المجلس الأعلى لانصار السلام ببغداد."

أخيراً يهمنا التنويه هنا الى ان من تفضل علينا مشكوراً بتوفير هذه الوثيقة التاريخية التي تنشر لأول مره ، هو الاستاذ أحمد الجبوري السكرتير الاول في سفارة جمهورية العراق ببراغ ، وقد عثر عليها في ارشيف وزارة الخارجية التشيكية ، خلال بحثه فيه وهو يستكمل متطلبات دراسته العليا ، قبل نحو عامين.

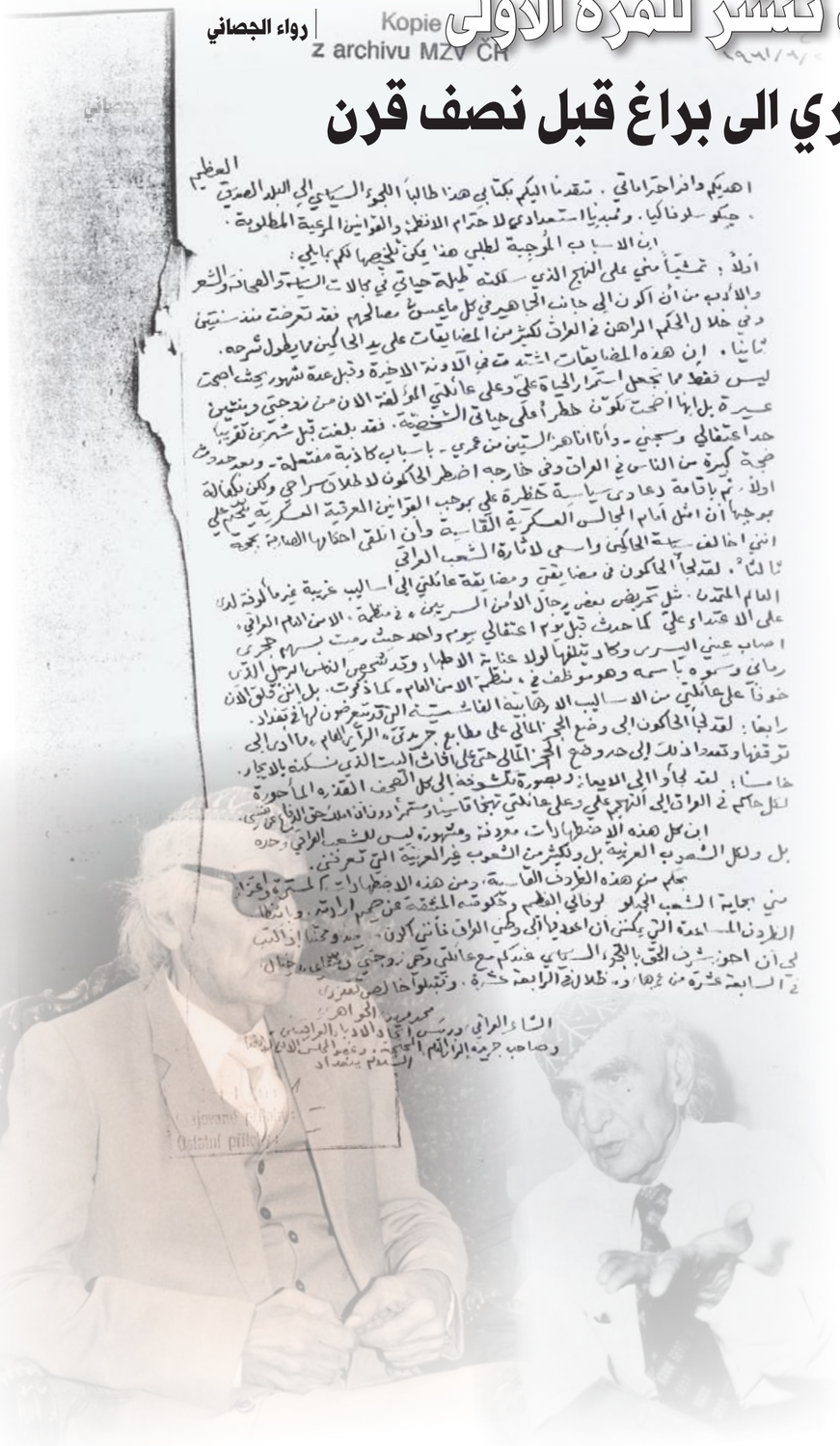

من طرائف الصحافة العراقية

الاشتراكات ومورد الصحيفة

اعداد/ المدى

كانت الاشتراكات في الصحافة العراقية ايام زمان تشكل العمود الفقري لمسيرة الصحيفة او المجلة وديمومة استمرارها، اذا ما استثنينا موارد الاعلانات الضئيلة، فكان الاشتراك هو المورد الطبيعي لها والمعين الذي لا غنى عنه في دفق الحياة في شرايينها لسد نفقات الطباعة والورق واجور العاملين وغيرها رغم ان قيمة هذه الاشتراكات كانت زهيدة لا ترهق كاهل المنضوين الى قائمة المشتركين فيها. وكان التلكؤ في تسديد ما عليهم من ابرز العوامل التي كانت تعيق اصحاب هذه الصحف والمجلات على مواصلة صدورها. فكان صاحب الجريدة او المجلة يحث اصحاب القلم والفكر وطلبة المدارس وارباب المهن والحرف على الاشتراك فيها. واذا ما قبل احدهم الاشتراك يطالبه بتسديد الثمن سلفا، حيث ان الاعتماد على صرفيات الصحف من غير الاشتراك لم يكن مشجعا او مجزيا لتكاليفها، وهذا ما حمل بعض الصحف الى ان توضح في صدر صفحاتها شرطا يقول: "من قبل العدد عدا مشتركا، وهذا ما نهجت عليه مجلة (لغة العرب) التي كان يصدرها الاب انستاس ماري الكرملي، اذ اعتلى صدر العدد الاول منها، الصادر في 1 تموز ١٩١١ نداء (الى الادباء والمشتركين والكتاب) تضمن جملة من الامور ومنها "من قبل العدد الاول يعد مشتركا" و"لايلتفت الى طلب الاشتراك ان لم يكن معه البدل" وكررت المجلة هذا النداء بعددها الثاني الصادر في ٢ آب ١٩١١.

كان هذا دأب معظم الصحف والمجلات الاهلية التي كانت تصدر انذاك، والتي كانت تعاني من ظروف تأخير الاشتراكات او التلكؤ في تسديدها، اما الصحف الاخرى وهي التي كانت تصدرها الحكومة، فلم تك بحاجة الى الاشتراكات لسد عجزها وتغطية مصاريفها كونها ممولة ومدعمة من قبل الحكومة، وبالتالي فليس ثمة ما يدعوها الى نشر التنبيهات والرجاءات، والالتماسات، للاسراع في تسديد اقيام ما يترتب بذمة المشتركين.

وهذه نماذج مختارة من النداءات والاعلانات التي تؤكد معاناة الصحفيين الاوائل في هذا الجانب وبالقدر الذي يتسع له المجال.

× خير البرعاجله

تحت هذا العنوان نشرت جريدة (تينوى) التي كان يصدرها المرحوم فتح لله سرسم في الموصل، بعددها (٢٣) الصادر في عام ١٩١٠ نداءً الى المشتريكن فيها يقول: "ان البعض من مشتركي جريدتنا في الحاضرة والخارج لهم ثمانية اشهر منذ قبلوها ولم يفوا للان بقيمة الاشتراك فنطلب منهم لكي يسرعوا بتسليم بدل الا ابوته وسلفا نشكر فضلهم".

ويبدو ان هذا النداء ذهب ادراج الرياح، اذ لم يجد اذانا صاغية من المشتريكن حتى ان بعضهم سلخ سنتين من التأخير دون ان يبادر الى دفع ما استحق عليه من بدلات وهذا ما يستشف من مضمون الاعلان الذي نشرته الجريدة المذكور بعددها (٨٩) الصادر في عام ١٩١١ والذي ناشدتهم فيه، باسلوب رقيق!، من ان تلكؤهم في التسديد يؤثر على حياة الجريدة ونموها.. يقول الاعلان:

إلى وكلائنا وبعض مشتركينا الكرام ..

نرجو ان تبذلوا اشتراكات السنة الاولى والثانية المتأخرة ان كان بين المشتركين من يصعب عليه دفع البدل فليسدد ما عليه ويطلب قطع الاشتراك، وان كان التأخير ناجما عن عدم العناية فقط فهو يؤثر على حياة الجريدة ونموها ويعرقل مساعينا في الخدمة.. اهتمام قليل ينشطنا ويدلنا على تقدير الخدمات"!

× ارسال الاشتراكات والتقاسيط

وما عانته جريدة نينوى كانت تعانيه مجلة (اللسان) التي كان يصدرها المرحوم احمد عزت الاعظمي في بغداد، فقد ذاقت هي الاخرى الامرين من تهاون المشتركين في تسديد ما بذمتهم من مستحقات الاشتراكات السنوية، مما اضطرها الى ان تنشر احيانا على صفحاتها النداء اثر النداء والرجاء تلو الرجاء، مطالبة المشتركين بدفع ما عليهم. فها هي تنشر بعددها (٨) الصادر في عام ١٩١٩ هذا الاعلان المشحون بالمرارة والرقة معا.

"مضى على صدور المجلة نصف سنة ونيف، ونحن نسعى ونجد لارضاء المشتركين ولكن لحد الان لم يتكرم علينا احد بدفع الاشتراك، والتقاسيط ولهم الفضل".

ولم نجد تنبيهات ونداءات مجلة اللسان بهذا الصدد فتيلا، وظلت غارقة في ضائقتها المالية، الامر الذي دفع ببعض رجالات السياسة الى دعم هذه المجلة ماديا، اذ تبرع السيد طالب باشا النقيب بمبلغ (١٥٠٠) روبية، حينما مثلت رواية "وفود النعمان على كسرى انو شروان" لصالح المجلة.

× جريدة "حبزبوز" والمشتركين

رغم ان جريدة "حبزبوز" التي كان يصدرها المرحوم نوري ثابت كانت تلاقي اقبالا كبيرا من القراء ولاسيما بين اوساط المثقفين الا ان هذه الجريدة كانت هي الاخرى تعاني من الصعوبات المالية المتمثلة في تلكؤ المشتركين في دفع اشتراكاتهم السنوية. ولذلك كانت لا تفتأ تنشر بين الحين والاخر اعلانا بدعوهم الى تسديد اشتراكاتهم باسلوب يجمع بين القليل من الجد والكثير من الهزل والسخرية.. وهذا ما تمثل باعلانها الذي رشقت به المشتركين بأول عدد صدر منها في ٢٩ ايلول ١٩٣١: الى حضرات المشتركين الكرام!

من اولها!.. تالي لا تنسوي قدزة ونزة.. معلوم حضرتكم! الداعي (قابسز) والوكت حامض! والجيب مضروب اوتي.. لاجل كل ذلك! ومن فضلكم عجلوا ببدلات الاشتراك وخلونا نشتغل مثل الاوادم! يرحم والديكم وهاي تركناها يم نجابتكم!"

ومثلما عهدنا المشتركين في الصحف الاخرى نعدهم بالمشتركين في جريدة (حبزبوز) اذ هم بدلا من ان يعطوها الاذن الصاغية اعطوها (الاذن الطرشة!) مما حدا بـ(حبزبوز) الى ان ينشر اعلانا آخر بالعدد (١٢) الصادر في ١٥ كانون الاول ١٩٢١ يؤكد فيه على ضرورة دفع الاشتراك ولكن باسلوب آخر وكأنه يتمثل بقول الشاعر:

لقد اسمعت اذ ناديت حيا
ولكن لا حياة لن تنادي

(الى مشتركينا الكرام..

نرجو من حضرات مشتركينا الكرام الا يستعجلوا بتسديد بدلات الاشتراك لان هذه الادارة في غنى عن (الفلوس) ولان (العجلة من الشيطان الرجيم!).

وتستمر معاناة هذه الصحيفة مع المشتركين في دعم ميلاتهم حتى الاعداد الاخيرة منها، حتى ليبدو ان اليأس راح يتغلغل في اعماق صاحبها (حبزبوز) شاكيا امره الى الله الواحد القهار.

حضرات المشتركين..

ان صاحب الجريدة بعد ان عمل معنا حساب دقيق ظهر له نتيجة الحساب ان ادارة الجريدة في غنى عن الفلوس فامرنا ان لا نطالب احدا من المشتركين الى ان تصرف هذه الدراهم الموجودة وبعد (اكو رب كريم!)

التوقيع / مدير ادارة

× الكرخي يعاتب ثم يهجو

اما صاحب جريدة (الكرخ) المرحوم الملا عبود الكرخي فكانت معاناته اشد مرارة مع بعض المشتركين حتى لكأنك تتلمس هذه المرارة صارخة في شعره. فقد قال من قصيدة بعنوان (عراقيل الصحافة) نظمها في عام ١٩٢٨.

فلوس اشتراكاتي اقبضت
قيمة الحمص والبصل
بـ (المشترك) والله حرت
حتى غدا بعقلي خلل
سنتين اذا عنه اسكتت
لا تعتقد يدفع (بدل)

ولما طفح كيل الكرخي لم يجد بدا من ان يجعل الاشتراك نقدا في جريدته، فقال من قصيدة تحمل عنوان (زمر ابنج يا عجوز!) التي نشرها في جريدته (الكرخ) في عام ١٩٢٩.

اشتراك (الكرخ) نقدا صار جوز
لا تقلق زمر ابنج يا عجوز..
احسن البيعات عد باثر عد
وانكس البيعات، غد وبعد غد

ولم يذعن الكرخي لامر الواقع الذي تفنن المتقاعسون في فرضه على الصحافة، فارتأى ان يستعين بتجاريب المثل (اخر الدواء الكي) ليواجه بعض النماذج من المشتريكن الذين تنام في جيوبهم، ملء جفونها، اشتراكات خمس سنوات من الاستحقاق دونما وجل او خجل، فراح يهجوهم ، بعدما يئس من العتاب، باقذع الالفاظ ويصفهم باشنع الصفات.. فتارة يصفهم بشعره، وتارة بلاحقهم بشخصه.. وتلمس ذلك واضحا في قصيدته (متاعب الصحافة) التي نشرها في جريدته في عام ١٩٣٢ والتي يقول فيها هاجيا انموذجا من هؤلاء.

عندي مشترك حمنين
يصلح للدهن سجين
اداعيه صار خمس سنين
اقره باذنه ما يسمع

×××

بداره يختل ويرتاب
يعلم ابنه بالكذاب
اذا يطرق (الكرخي) الباب
اخبره والدي توجع

واخيرا.. فهذا جانب من هموم ومعاناة رواد صحافة ايام زمان مع المشتركين ، ناهيك عن همومهم ومعاناتهم مع جور وتعسف السلطات انذاك ومكايداتهم المهنية الاخرى.. فرحم الله الراحلين من هؤلاء الرواد، ونسأله اللطف بالاحياء منهم – امد الله في اعمارهم – كلما تداعت لهم ذكريات معاناتهم مع المشتركين وغيرهم!

زوراء

احمد عزت الاعظمي

عبود الكرخي

انستاس الكرملي

نوري ثابت

مدحت باشا

مذكرات ايام زمان

آخر الصفحات من حياته
زيارة خاصة الى بيت الرصافي في الميدان

عبد القادر البراك

صحفي راحل

كان فقيد الادب واللغة والترجمة الامينة المرحوم عبد المسيح وزير قد كتب ثماني مقالات في جريدة (الاستقلال) الشهيرة للمرحوم عبد الغفور البدري خلال سنة ١٩٣٢ بمناسبة صدور اول طبعة موسعة لديوان شاعر العراق الخالد الذكر المرحوم (معروف الرصافي) اي قبل ما يزيد على النصف قرن ولا احسب ان اديبا من ادباء العراق المعاصرين من نشأوا في الوقت الذي نشرت فيه هذه المقالات الهامة قد وقف عليها كما لم يكتب لهذه المقالات ان تنشر في كتاب ليقف القراء على الكثير الكثير من جوانب حياة هذا الشاعر الذي تضاربت فيه الاقوال.

× فقد وصف عبد المسيح وزير (الرصافي) عبر مجالسه الخاصة وفي المنزل الذي سكنه عام ١٩٢٩ بالميدان والذي كان يرتاده عدد كبير من مختلف طبقات الشعب ويتحلل فيه الشاعر وضيوفه من كل الاعتبارات الاجتماعية حيث يتولى البعض احتساء المشروبات ويعمد البعض للعب الورق ويمارس الاخرون كل ما يدخل الى النفوس البهجة والسرور.

× ووصف الرصافي في مجالسه العامة بمقهى (عارف اغا) في الصيف والشتاء وتحدث عن مأكله التي يفضلها ومتعته التي يمارسها واصدقائه من مختلف الطبقات. وقد روى عبد المسيح كل هذه الحقائق باللغة الصريحة. وعلى الرغم من ان ما تطرق اليه الكاتب من جوانب حياة الشاعر الخاصة مما لايمكن ان يقبله شاعر آخر من مجتمع محافظ الا ان الرصافي بحكم حبه للحقيقة لم يعترض عليها بل كان يعتبرها كما ورد على الهجمات التي شنها عليه المرحوم (ابراهيم صالح شكر) بعد صداقة طويلة جاءت تحت تأثير بعض موظفي (البلاط) ولان الرصافي قد هجا (الحزب الحر العراقي) الذي كان يسند حكومة المرحوم (عبد الرحمن النقيب) الذي كان يعتبر ابراهيم صالح شكر باعتباره من سكنة المحلات المجاورة لباب الشيخ من اعوان هذا الحزب!

× والذي اعتقده ان ما كتبه وزير عن الرصافي في مبادئه لم يكن اخف مما كتبه عنه الاديب العربي الكبير المرحوم (احمد حسن الزيات) في مجلة الرسالة مما اثار غضب جميع اصدقاء الرصافي وحتى المرحوم الاستاذ مصطفى علي الذي كان واقفا على اسرار الرصافي بما كتبه عنه (وزير)!

وحبذا لو قام الاستاذ عبد الحميد الرشودي الاديب المؤتمن على تراث الرصافي بنشر مقالات عبد المسيح وزير في الجزء الثاني من كتابه الذي صدر قبل ربع قرن وتضمن الكثير مما كتبه الادباء المعروفون عن الرصافي فانه يسدي بذلك للادب واهله خدمة واي خدمة.

× الا ان ما اثير حول سكن الرصافي في دار سيدة معروفة في الوسط الاجتماعي من قبل غير الواقفين على الحقيقة وتغاضى اصدقاء الرصافي عن ذكر الحقيقة لكي لايحمل الامر على المحمل الذي يسيء لمكانة الشاعر الاجتماعية ودت ان اسهم بنشر مالم ينشر حول هذا الموضوع وبالقدر الذي لايسيء لاي طرف من الاطراف اذ ان التزام الامانة وعدم الاثارة هما الكفيلان بان لايثيرا التطرق لهذه الموضوعات شكا في البواعث خاصة اذا كانت هذه المعلومات صادرة من شخص ذي صلة بالرصافي، حريص على سمعته.

× بعد ان غادر الرصافي بغداد على ان لايعود الى العراق اثر عدم استجابته لطلب تسهيل مهام عمله في وظيفته التي نقل اليها من (نائب رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر) الى استاذ للادب في دار المعلمين العالية كلف المرحوم الملك فيصل الاول المرحوم عبد المحسن السعدون رئيس الوزراء يومذاك والصديق الذي يحظى باهتمام الرصافي ان يستدعيه الى بغداد واستدعاه بالفعل بعد ان وعده بالترشيح لعضوية المجلس التأسيسي وقد اقيمت له حفلة تكريم بعد عودته انشد فيها قصيدته المشهورة التي مطلعها.

سر في حياتك سير نابه
ولم الزمان ولاتحابه

ولكن الرصافي لم يفز بالانتخابات ولهذا نشر القصيدة في الديوان بعد حذف (١١) بيتا منها كانت مكرسة للدعوة الى اسهام الشعب بالانتخابات السالفة الذكر.

× وكان الرصافي يومذاك يعتاش على القليل مما يرده من صديقه عبد المحسن السعدون ومن اصدقائه (عبد اللطيف المنديل) و(حكمت سليمان) و(فخري جميل) و(محمود الشابندر) وغيرهم ممن لا ينأف من الاستعانة بهم وممن يعتبرون انفسهم ملزمين بمساعدته.

وقد وجه الرصافي قصيدة الى (السعدون) يمدحه فيها ويطلب منحه ما يكفيه لاقتناء الملابس العربية وقد تولت الصحف العربية نقل هذه القصيدة فاغتاظ الملك فيصل لانه كبر عليه ان يستعين الرصافي بالسعدون على مطالب الحياة ولايستعين به.

× وللحقيقة فان اكثر ما نظمه الرصافي في تلك الفترة من قصائد سواء في تكريم (امين الريحاني) او رثاء (الالوسي) و(الخالصي) او في مدح (عبد اللطيف المنديل) و(الشيخ خزعل) كان الغرض منها التعريض بالملك فيصل.

وهذا مالم يفهمه الكثيرون ممن تصدوا للحديث عن الرصافي.

× وفي تلك الفترة كان يستلم الرصافي في نهاية كل شهر (حوالة) بريدية بمبلغ (٥٠) روبية وكان يتصور انها مرسلة له من (السعدون). وقد استمر استلام هذه الحوالات حتى بعد انتحار السعدون فقصد الرصافي دائرة البريد لكي يتعرف على مصدر (الحوالات) المذكورة. وبعد الحاح شديد عرف انها صادرة من (العلوية زكية) فقال:

"عجبا ماكو بالعراق اشراف يساعدون الرصافي الا هذه المراة"!

وقصدها ليشكرها فعرضت عليه السكن في دار تملكها في تلك المنطقة فوافق امعانا في احتجاجه على معاملة السلطة له.

عن كتاب احداث في تاريخ العراق
بغداد 1985

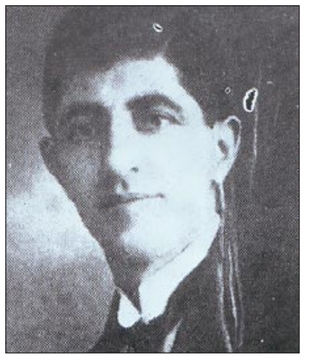
احمد حسن الزيات

عبد المسيح وزير

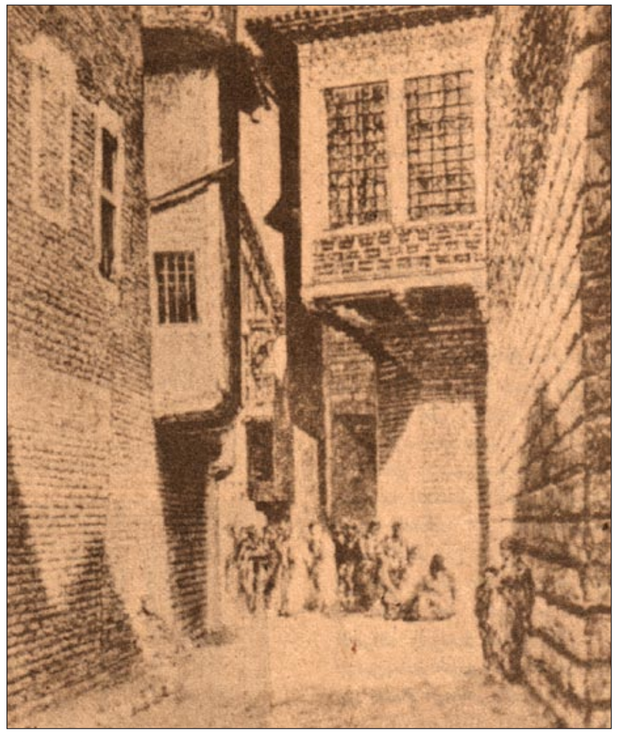
صورة لبيت الرصافي

من دفتر مذكرات

محمد رؤوف السعودي

صفحات مطوية من حياة رائدة الصحافة العراقية

صادق الجميلي

مريم نرمة

محمد رؤوف السعودي

كان محمد رؤوف السعودي ويكنى بابي عطوف. رجلا عركته الحياة واكسبته خبرة وتجربة عاش حياته بعصاميةفذة واجتازها بسلام ولم يترك لاسرته من متاع او نشب وانما ترك لها دفتر مذكراته وهو مثخن بشتى الموضوعات الاجتماعية والفلسفية والتاريخية والدينية كما دون فيه وصفا دقيقا لبغداد القديمة وما جرى فيها من احداث عاصرها وشاهدها بنفسه وكتب فيها باسلوبه الشيق الجذاب يسرد فيه القصص والحوادث التي لم يسمعها او يقرأها المواطن في مكان آخر انها جلاء للغامض والمجهول من تلك الفترة التي عاشها.

× ولد ابو عطوف في بغداد سنة ١٨٩٣ وعاش فيها ولم يدرس بمدرسة ولم يتخرج من معهد بل كانت مدرسته الحياة كلها اخذ عنها الكثير وكتب فيها كانت مهنته حياكة (الارز) ويزاولها في معمل والده علوان في محلة صبابيغ الال في رصافة بغداد ولما ذهب الزمان بهذه المهنة بزوال لبس الازر (والازر) لباس خاص بالمرأة المسيحية في بغداد يقوم مقام العباءة تلبسه المرأة ايام الاعياد والاعراس كسدت هذه الصناعة وهجرها اهلها ومنهم ابو عطوف وفي سنة ١٩٣١ م استطاع ان يستأجر الحانوت العائد لدائرة البرق المركزي في محلة السنك بالباب الشرقي ليعمل فيه بتواضع بقية حياته التي امتدت الى اوائل السبعينيات حتى توفاه الله في بغداد في ١٩٧١/٥/٦

× يقول المرحوم السعودي:

ذكرياتي مع السيدة مريم نرمة رائدة الصحافة النسوية في العراق تبدأ من سنة ١٩٢٤ اذ كانت تسكن دارا في محلتنا (القاطر خانة) التي هي اليوم بناية (الثانوية الجعفرية) في شارع الوثبة، وبحكم الجوار دعتني السيدة لزيارتها في بيتها فلبيت الدعوة. وشربنا القهوة وجرى بيننا الحديث عن الصحافة والادب والكتاب والضجة التي بدأ يثيرها بعض الشباب المتطرف حول سفور المرأة وتبرجها ومناصرة الدعوة التي كان يثيرها في مصر "قاسم امين" وغيره من الكتاب. وكانت السيدة مريم كلها ثورة ونقمة على هؤلاء الشباب.

وكلها نار حامية على الاوانس والسيدات اللواتي انسكن وراء هذه الدعوات من غير تبصر وروية وفي نظرها ان تكون مرحلة تعليم المرأة الخطوة الاولى لتحريرها من كل الافكار والاوهام التي تسيطر على عقليتها وبعد ذلك فعلى المرأة ان تقرر مصيرها وتشق طريقها نحو الحياة المثلى والمرأة الثالية عندها هي الكاتبة والشاعرة والادبية "ملك حفني ناصيف" المرأة المثقفة عاليا ولكنها في نفس الوقت غير متبرجة ولا سافرة سفورا مطلقا.

× وكانت متحجبة حجابا معتدلا يحفظ لها كرامتها كامرأة تؤدي رسالتها في الحياة كزوجة وكأم ومربية وعاملة اذا احتاجها المجتمع في مجال تخصصها تخفض عن الرجل كثيرا من اعباء الحياة. فهي النصف المكمل للمجتمع الفاضل ويجب ان تعرف موقعها فيه، فكانت "ملك" تكتب وتنظم القصائد باسم "باحثة البادية" بمقالات مسلسلة تباعا.. وفي رأيها ان "ملك" خير من وضعت الخطة الناجحة وكانت القدوة الحسنة لتحرير الفتاة والمرأة العربية من طغيان التقليد وذلك عن طريق التحلي بالادب والفنون والمثل العليا والتعليم الهادف.

وكانت السيدة مريم تنظر الى سفور المرأة كتابها "أول الطريق" ان السيدة نرمة اصدرت مجلة "فتاة العرب" في ٦ ايار ١٩٣٧ وهي (مجلة ادبية انسانية اجتماعية غايتها خدمة الفتاة العراقية). وكانت السيدة من اوائل الكاتبات اللواتي ساهمن في معالجة الشؤون الاخلاقية والاجتماعية عن طريق الصحافة. وكان عزم نرمة معقودا على اصدار مجلة باسم فتاة العراق ثم عدلت عنها الى فتاة العرب بعد ان صدرت مجلة تحمل نفس العنوان (وكانت صاحبة امتيازها حسيبة قاسم راجي) وقد عاشت فتاة العرب "ستة اشهر واضطرت صاحبتها الى ايقافها بسبب الخسران المادي الذي لحق بها وقالت: انه بلغ ٤٥ ليرة ذهبا.

وقد دعت وزارة الاعلام الى الاحتفال بالعيد المئوي للصحافة العراقية لتكريم اولئك الذين وضعوا اللبنات الاولى في صرح الصحافة في القطر العراقي ومنهم السيدة مريم نرمة وقد شاركت في هذا الاحتفال وكانت على قيد الحياة . وقد صدر بالمناسبة كراس عن لجنة الاحتفال يعرف بهذه الصحيفة ويترجم حياتها بسطور اسمها الكامل (مريم نرمة) عمرها ٧٩ عاما. ولدت في بغداد ثم انتقلت الى البصرة وعادت الى بغداد حيث لازالت تعيش الان. انها عراقية.. عربية بدأت اول كتاباتها الصحفية في الاول من ايار سنة ١٩٢١ وذلك في مجلة "دار السلام" الادبية التي كان يصدرها الاب انستاس الكرملي. وكان عنوان المقال "ثقفوا اولادكم وبناتكم لمكافحة الاستعمار". ثم نشرت سلسلة من المقالات والمواضيع في صحف عراقية عديدة كان منها جريدة العالم العربي ومجلة الصباح وجريدة الاحد وغيرها ناقشت الكثير من الكتاب العالميين في امور وطنية واجتماعية فقد ناقشت "الفرد كروس" الاستاذ بجامعة كاليفورنيا بامريكا وهاجمته لانه هاجم المرأة العربية في مقالات نشرها الصحف الامريكية وفي سنة ١٩٣٧ اصدرت جريدة فتاة العرب وجعلت شعارها بلاد العرب للعرب "ورغم ان كل كتاباتها هي المرأة ووجوب تثقيفها وتحررها فانها هي نفسها كانت محجبة حتى الى ما قبل بضع سنوات!!.

واخر ما قالته في عيد الصحافة هذا: "انني جدا سعيدة لان تاتي حكومة وطنية ولاول مرة في تاريخ عراقنا الحبيب لتعطي الصحافة حقها.. وتحتفل بعيدها انها امنية غالية كانت تعتمل في صدري وفق الله العاملين للخير والصفاء..

توفيت السيدة مريم بعد كاتب المذكرات بسنوات .. وفي حدود سنة ١٩٧٣ والكاتب توفي في ٦ مايس ١٩٧١.

مجلة الحضارة العدد الاول 1988

من اوراق عبد الحميد الرشودي

قدم الاستاذ الفاضل عبد الحميد الرشودي مجموعة من مقالاته عن عدد من الشخصيات الادبية والصحفية والسياسية او عن بعض الاحداث الطريفة التي عرف اسرارها او تعليقاته على بعض المؤلفات التي تعنى بتاريخنا الفكري الحديث. ونعيد نشر هذه المجموعة تباعا في ملحقنا (ذاكرة عراقية).

ابراهيم الوائلي

الاديب الشاعر والباحث المحقق

عبد الحميد الرشودي

ابراهيم الوائلي

فجعت الاوساط الادبية عصر الجمعة الخامس عشر من نيسان ١٩٨٨ بوفاة الاديب الشاعر والمحقق اللغوي الاستاذ ابراهيم الوائلي احد اساتذة كلية الاداب السابقين بعد معاناة شديدة من النوبات القلبية التي سلبته صحته وراحته ولكنها لم تستطع ان تضعف عزمه او توهن ارادته في موصلة البحث والدرس وتقديم الخبرة والرأي. فما غادر الوائلي الكرسي الجامعي ليخلد الى الراحة والدعة ويضرب بينه وبين الادب حجابا صفيقا بل اتخذ من الصحافة منبرا جديدا فبعد ان كان نفعه مقصورا على طلبته في حجرات الدرس وقاعات المحاضرات عم نفعه حتى شمل الاف القراء الذين يتابعون دراساته ونقداته اللغوية التي يطالعهم بها من خلال (مرصده اللغوي) وقد اختار له عنوانا يدل على سمو نفسه وكريم خلقه هو (من اغلاط المثقفين) وحين سألته هل يليق بالمثقف ان يغلط؟ اجابني رحمه الله انه لايريد التجريح والتشهير بالمنقودين بقدر ما يريد التصحيح والتسديد وإلا فالعناوين كثيرة. يعتبر الوائلي من الجيل الذي نشأ بين الحربين العالميتين فقد ولد في البصرة عام ١٩١٤ ونشأ في كنف والده الشيخ محمد حرج ولا عجب ان ينهج فنانا نهج رجال اسرته فيتوجه الى دراسة العلوم الشرعية والفنون الادبية وقد ذكر لي ان جده الشيخ حرج قد بلغ منزلة الاجتهاد.

وحين اتخذت اسرته من مدينة النجف مستقرا ومقاما انطلق ابراهيم يدرس من علوم الجادة ما كان مألوفا في تلك البيئات. وقد اخبرني انه بدأ ميله الادبي مبكرا فانحاز الى دراسة النحو وكتب الادب ودواوين الشعر وحين انس في نفسه قدرة على النظم ونزوعا نحو الشعر طلب الى اخيه الشيخ جاسم (والد الدكتور فيصل الوائلي) ان يعينه على دراسة العروض فقدم له كتابا صغيرا في هذا الفن من مطبوعات بومبي فعكف عليه حتى اتقن علم العروض وعرف البحور وعللها حتى صارت معرفته لهذا الفن ملكة وقد رأيناه حين تعرض عليه بعض الابيات لمعرفة بحورها او عيوبها فيجيب اجابة خبير عليم وقد قام الوائلي بتدريس علم العروض في كلية الاداب وغيرها من الكليات مدة تربو على ربع قرن.

انتمى الى نوادي النجف الادبية وكانت له في الرابطة الادبية وقفات ووثبات شعرية ترددت اصداؤها في الصحف الادبية وسبقته شهرته الى بغداد. وحين اتى العاصمة ونزل في فندق الملوك في كرخ بغداد – قامت على انقاضه دار الولادة اليوم – وتولى التدريس في المدارس الاهلية وكان نجمه الادبي في صعود فوالى نشره في الصحف وانشد بعض قصائده في الاذاعة وعند اندلاع ثورة مايس ١٩٤١ انتمى الى كتائب الشباب وارسله المرحوم الشهيد يونس السبعاوي في مهمة الى النجف الاشرف وقد اخبرني انه كثيرا ما كان يتصل بالشهيد السبعاوي الذي اتخذ من فندق (تايكرس بلاس) مقرا له وعند فشل الثورة وانفراط عقد رجالها ادرج اسم الوائلي في قوائم الاعتقال لولا ان تداركته شفاعة الشافعين.

وفي سنة ١٩٤٦ رشحته وزارة المعارف الى البعثة العلمية الى مصر وما رشحه إلا ادبه وفضله وقد اخبرني ان طلاب البعثة وصلوا متاخرين وكان العام الدراسي قد بدأ قبل وصولهم بشهرين فرفض عميد كلية دار العلوم قبولهم لولا انهم راجعوا الاستاذ احمد امين الذي ضغط على زكي المهندس عميد الدار وقال له وهو يحاوره في الهاتف: "هل تتصور ان هؤلاء جاؤوا من ظنطا يستطيعون العودة اليها بعشرة صاغ؟ هؤلاء جاؤوا من العراق وقد تركوا اعمالهم وعطلوا مصالحهم وقطعوا الاف الاميال ثم تريد ان يعودوا من حيث اتوا" وعند ذاك وافق العميد على قبولهم وكانت النتيجة ان نجحوا بتفوق رغم التحاقهم متأخرين.

وقد اتصل ابراهيم الوائلي في مصر بطائفة من ادبائها وشعرائها وتعرف الى احمد حسن الزيات صاحب الرسالة وداوم على حضور ندوته والنشر في مجلته. كما انه قصد ذات يوم ادارة مجلة الفكر الجديد التي كان يصدرها سيد قطب فعرض عليه قصيدة في نقد الوضع الاجتماعي ووصف فيها بؤس الفلاحين وجبروت الاقطاعيين فتلقفها سيد قطب ونشرها وطلب اليه ان يوافيه بامثالها ومن الادباء الذين عرفهم هناك الشاعر محمود ابو الوفا وعباس خضر وانور المعداوي.

وبعد ان حصل على شهادة التخرج في دار العلوم عاد الى بغداد مدرسا في الاعدادية المركزية ثم عاوده الحنين فسافر ثانية لاكمال دراسته فاجيز بدرجة الماجستير وبينا هو يعد رسالته لدرجة الدكتوراه حدثت الازمة السياسية الحادة بين مصر والعراق سنة ١٩٥٩ فحيل بينه وبين السفر واهمل رسالته وقنع بالتدريس في كلية الاداب الى ان طلب احالته الى التقاعد.

هذا وعسى الا يحول الم الفراق وجلال الموقف ورهبته دون الاشارة الى مؤلفاته وبحوثه وان كانت الكتب التي حواها صدره وغيبت معه تحت اطباق الثرى هي اكبر مؤلفاته كما قال القائل:

ليس بعلم ما يعي القمطر
ما العلم إلا ماوعاه الصدر

مؤلفاته وبحوثه:

١- ثورة العشرين في الشعر العراقي (بغداد ١٩٦٨).
٢- الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر (الطبعة الاولى بغداد ١٩٦١ والثانية – مطبعة المعارف بغداد ١٩٧٨).
٣- الشعر العراقي وحرب طرابلس (بغداد ١٩٦٤).
٤- الشعر العراقي في القرن التاسع عشر ومنزلته في مصر والشام ١٩٦٥.
٥- من لقيط الى اليازجي (بغداد ١٩٦٨).
٦- اضطراب الكلم عند الزهاوي (١٩٧٠).
٧- ديوان الوائلي – في قسمين – منشورات وزارة الثقافة والاعلام (دار الخلود للطباعة والنشر بيروت – لبنان ١٩٨١).

رحم الله الوائلي فإن كان فراقه قد ابكى عيون محبيه وعارفي فضله فانه قد ابكى قلبي دما وملأ صدري حزنا واسى وكاني به وهو يطبق جفنيه بعيدا عن داره واهله وولده يردد مع الشاعر علي بن الجهم قوله:

وارحمتا للغريب في البلد النا
زح ماذا بنفسه صنعا
فارق احبابه بنفسه صنعا
بالعيش من بعده ولا انتفعا

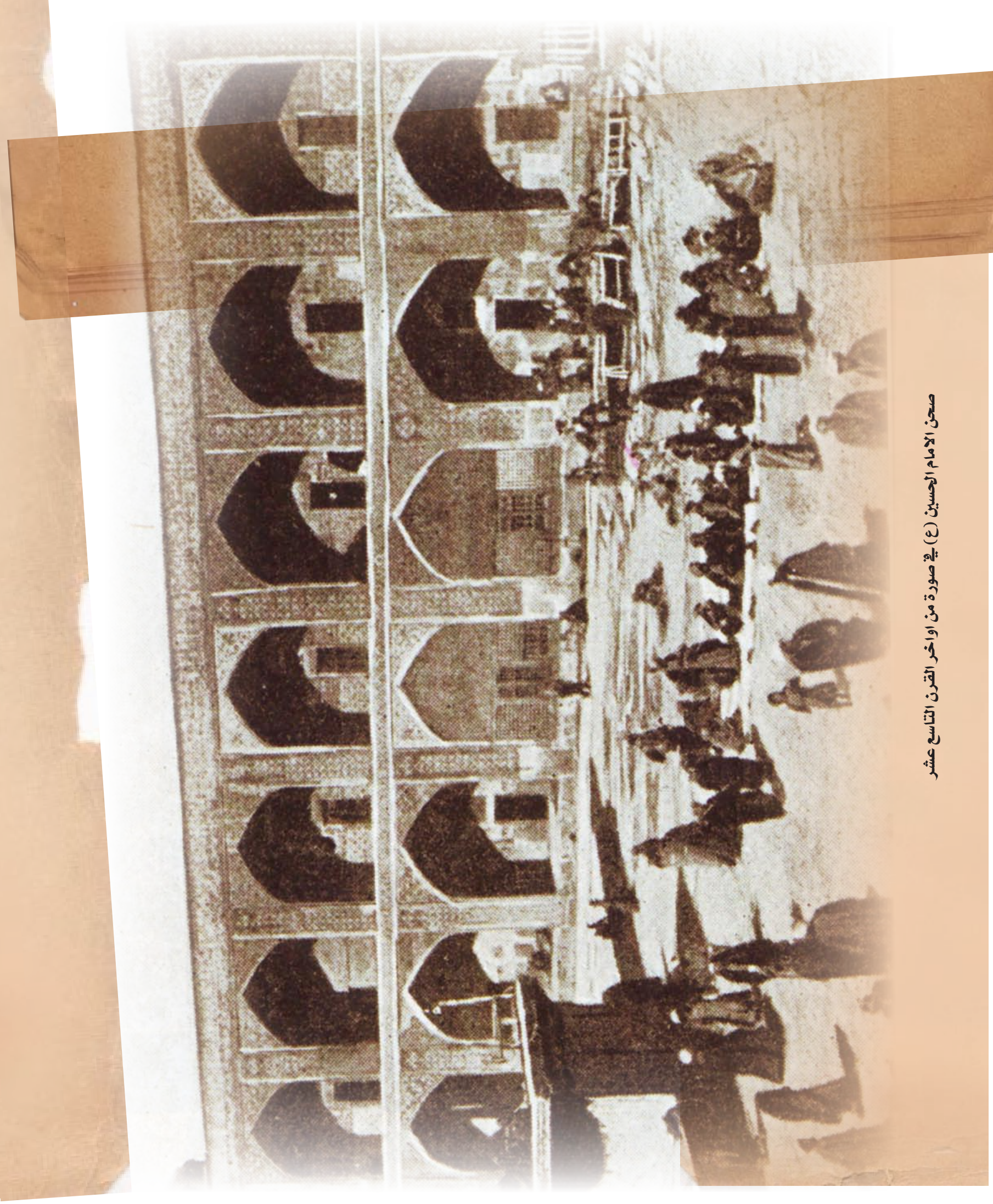

صحن الامام الحسين (ع) في صورة من اواخر القرن التاسع عشر

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

نائب رئيس التحرير: عدنان حسين
مدير التحرير: علي حسين
هيئة التحرير: باسم عبد الحميد حمودي ـ رفعت عبد الرزاق
الاخراج الفني: نصير سليم التصحيح اللغوي: مروان عادل

طبعت بمطابع مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون